مصادر التلقي سلامة فهمها وأثره في الوقاية من الانحراف الفكري

د. خالد حسن محمد البعداني[1]

(١) [أستاذ مساعد في جامعة الملك خالد بأبها]
كلية الشريعة وأصول الدين

ملخص البحث

هذا البحث عبارة عن دراسة لقضية من القضايا الهامة، وهي قضية مصادر التلقي عند الأمة وأهمية فهمها الفهم الصحيح لتجنب الوقوع في الانحراف الفكري، فكانت بعنوان: مصادر التلقي سلامة فهمها وأثره في الوقاية من الانحراف الفكري.

وهي محاولة لإبراز المالآت التي تنتج عن سوء الفهم لمصادر التلقي، مع عرض لأهم المظاهر وأبرز المشكلات العقدية والفكرية الناتجة عن سوء الفهم.

وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على أهم مصادر التلقي الإسلامية، ومعرفة أهم الأمور والقواعد التي ينبغي مراعاتها عند التعامل مع هذه المصادر، والتعرف على أهمية سلامة فهم النص الشرعي ودوره في الوقاية من الانحراف الفكري، ومعرفة مآلات ومظاهر سوء الفهم لمصادر التلقي.

وقد خلصت الدارسة إلى جملة من النتائج أهمها: أن مصدر التلقي الأول عند المسلمين هو القرآن الكريم، وتليه السنة النبوية في الأهمية والمكانة، وكذلك ضرورة استيعاب وإدراك الأمور التي ينبغي مراعاتها في فهم مصادر التلقي وعند التعامل معها، وأهمية سلامة فهم النص الشرعي من الوقاية في الانحراف الفكري، وأن ظاهرة التكفير في المجتمعات الإسلامية ما هي إلا مظهر من مظاهر الانحراف الفكري الناتج عن سوء الفهم لهذه المصادر، وكذلك ظهور فكر الخوارج، والوقوع في الفتن، وظهور (القرآنيون) والطعن في المصدر الثاني للتشريع في الإسلام، مع مناقضة هذه الدعوات وهذه الأفكار لقطعيات الشريعة وأصولها الثابتة.

Abstract

This research is a study of an important issue It deals with the issue of sources of obtainment at the Muslim community (Ummah) and the importance of the accurate understanding of them to avoid falling into intellectual deviation. It was entitled: **Sources of Obtainment: Their Accurate Understanding and its Effect in the Prevention of Intellectual deviation.**

It is an effort to identify the consequences that result from misunderstanding the sources of obtainment, with displaying the most important manifestations and major belief and intellectual problems resulting from misunderstanding.

This study is aims to recognize the most important sources of Islamic obtainment, learn most important matters and rules that should be taken into account when dealing with these sources, recognize the importance of safety of understanding the sharia(Islamic) text and its role in prevention from intellectual deviation, learning consequences and phenomenon of misunderstanding the sources of obtainment.

The study concluded with a number of findings. The most important are: the first source of obtainment of Muslims is the holy Quran, followed by prophetic Sunnah (traditions of the prophet Mohammed PBUH) in importance and rank, as well as importance of assimilating and awareness of matters to what should be taken into account in understanding the sources of obtainment and while dealing with them, the importance of safety of understanding the Islamic text of prevention in intellectual deviation, the phenomenon of takfir (declare someone a disbeliever) in the Muslim communities, as well as the emergence of Kharijites thought, the occurrence of strife, the emergence of (Quranians), and the challenging of the second source of legislation in Islam, which contradict Peremptory rules of Sharia and its fixed principles, are manifestations of intellectual deviation resulted from misunderstanding these sources.

ISSN : 2410-1818

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

القرآن الكريم الذي هو مصدر التلقي الأول عند المسلمين، هو أعظم المعجزات التي أيد الله بها نبيه محمدﷺ، وهو دستور المسلمين الذي يقود هذه الأمة إلى رب العالمين فهو الحق الذي، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

وهو حجة الرسول وآيته الكبرى، الشاهد برسالته الناطق بنبوته، وهو الملاذ الأعلى الذي يستند إليه المسلم في عقائده، وعباداته، وآدابه وأخلاقه، ومواعظه وقصصه، وعلومه ومعارفه.

ولهذا كله ولغيره كان القرآن الكريم هو موضع العناية الكبرى من الرسول الكريم، وصحابته ومن سلف الأمة وخلفها، وقد اعتنى علماؤنا عناية بالغه بالأمور التي لا بد منها لفهم هذا الكتاب الذي هو أصل الأصول، وأول مصدر من مصادر التشريع الإسلامي.

وكذلك السنة النبوية المطهرة، لها أهميتها ومكانتها في التشريع الإسلامي فهي المصدر الثاني في هذا التشريع، وهي المبينة للكتاب العزيز قال تعالى:﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾[النحل: ٤٤]. فهي أصل من أصول الدين، وركن من أركانه، يجب أتباعها ويحرم مخالفتها، وتظهر أهمية السنة من خلال أنها هي المبينة للمصدر الأول للتشريع الإسلامي، وهي التي فصلت ما أجمل فيه.

فكان من الضروري العناية بمصادر التلقي من خلال الحديث عن أهميتها، وضرورة فهمها الفهم الصحيح، لما يشكله الخلل في التعامل معها، وعدم فهمها الفهم السليم من خطر على الأمة، تسبب في ظهور بعض المشاكل الفكرية التي عانت وتعاني منها أمة الإسلام.

فكان هذا البحث تحت عنوان: مصادر التلقي سلامة فهمها وأثره في الوقاية من الانحراف الفكري. وسنقف في هذه الدراسة على أهم مصادر التلقي عند المسلمين وهي القرآن الكريم من حيث التعريف والمنزلة، والسنة النبوية كذلك من حيث التعريف والأهمية، ومكانتها في التشريع الإسلامي، وأهم الأمور التي ينبغي مراعاتها في فهم مصادر التلقي والتعامل معها، وأهمية سلامة فهم النص الشرعي من الوقاية في الانحراف الفكري، ثم عرض بعض المشاكل الفكرية كنتيجة لعدم المعرفة والفهم الصحيح لمصادر التلقي.

والله عز وجل نسألْ العون والسداد، والتوفيق في ذلك إنه نعم المولى، ونعم النصير.

ISSN : 2410-1818

أهمية الموضوع:

من المعلوم لدينا جميعاً أن ما مرت به الأمة الإسلامية على مدار تاريخها الطويل من مآسي أرتكبها أفراد منها، أو نكبات جماعية تعرضت لها ما هي إلا نتيجة عن انحراف فكري أصابها، أو نتيجة من نتائج الابتعاد عن مصادر التلقي لديها، أو سوء الفهم لتلك المصادر والتعامل معها، فولدت تلك النكبات وتلك المآسي.

ولعل ظهور الفرق المختلفة بين المسلمين من أهم أسبابه اختلاف فهم هذه الفرق للإسلام ومصادر التلقي فيه، والتعامل معها.

وهذه المصادر لا يمكن فهمها، إلا بطريق معرفة مجموعة من القواعد والأصول التي ينبغي إدراكها لمن رام التعامل معها، وسوف سنتحدث عنها في ثنايا هذا البحث بمشيئة الله تعالى.

فمحاولة التعامل مع هذا النصوص والمصادر دون مراعاة لأي فقه، ولا اعتبار لقواعد وضوابط، ودون اعتبار لقواعد الاستدلال، ولا الجمع بين الأدلة، ولا اعتبار لفهم العلماء، ولا نظر في أعذار الناس، وغيرها من الاعتبارات سبب لصنوف من الانحراف والضلال، نشاهد ونعاني من بعضها في مجتمعاتنا المعاصرة.

فكان الواجب على من يتصدى للتعامل مع هذه المصادر أن يكون على علم واسع بها، وفي التعامل معها، حتى لا يقع في الانحراف والبعد عن الجادة، وحتى يجنب الأمة هذا الفهم السقيم وما ينتج عنه من ويلات.

ومن هنا تظهر لنا أهمية هذه المصادر، وكيفية التلقي منها، ليتبين الطريق المستقيم ويسلم الإنسان من الوقوع في الفتن، والانحراف عن الجادة. ولا شك أن الفهم الصحيح لها، والإدراك العميق لمعانيها، ومعرفة مقاصدها، من أهم الوسائل التي نستطيع بها مواجهة الأحداث، والوقوف بثبات وعزيمة أمام كل المتغيرات.

ومن خلال هذا كله ندرك أهمية الحديث عن مثل هذه الموضوعات التي تتعلق بمصادر التلقي وفهمها فهماً صحيحاً.

أسباب اختيار الموضوع: تكمن أسباب اختيار موضوع البحث في الآتي:

١ -بيان أهمية مصادر التلقي الإسلامية، ومكانتها في التشريع الإسلامي.

٢ -ضرورة الوقاية من الوقوع في الانحراف الفكري الناتج عن سوء الفهم لمصادر التلقي وعدم التعامل معها بالشكل الصحيح.

٣ -إبراز أهم الأمور التي ينبغي مراعاتها عند التعامل مع مصادر التلقي في التشريع الإسلامي، والدعوة إلى ضرورة الالتزام بها، وأهمية ذلك.

٤ -بيان بعض المشاكل الفكرية الناتجة عن سوء الفهم لمصادر التلقي في عصرنا الراهن.

٥ -المساهمة في نشر الوعي الصحيح، ورفع المستوى الثقافة والفكري لدى أفراد الأمة.

ISSN : 2410-1818

أهداف البحث: تهدف هذه الدراسة إلى:

- معرفة أهم مصادر التلقي الإسلامية ومكانتها.
- معرفة أهم الأمور والقواعد التي ينبغي مراعاتها عند التعامل مع هذه المصادر.
- التعرف على أهمية سلامة فهم النص الشرعي ودوره في الوقاية من الانحراف الفكري.

مشكلة البحث: يمكن تحديد مشكلة البحث من خلال الإجابة على التساؤلات الآتية:

١ -ما هي أهم مصادر التلقي في التشريع الإسلامي؟ والمكانة التي تحظى بها؟

٢ -ما دور الفهم الصحيح لمصادر التلقي في الوقاية من الانحراف الفكري؟

٣ -ما هي أهم الأمور التي ينبغي مراعاتها عند التعامل مع هذه المصادر، وأهمية فهمها فهماً صحيحاً؟

٤ -ما هي أبرز مظاهر سوء الفهم لمصادر التلقي وعدم التعامل الصحيح معها؟

الدراسات السابقة:

حسب ما أعلم وبعد البحث والتحري وفي حدود اطلاعي لم أقف على من تناول الموضوع بهذا الشكل أعني ما يتعلق بسلامة فهم مصادر التلقي وأثره في الوقاية من الانحراف الفكري، ومن تحدث عن موضوع سوء الفهم لنصوص الوحي، تحدث عن أهمية الفهم في الإسلام، مع التركيز على النصوص الشرعية التي وقع فيها سوء الفهم.

منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي القائم على تتبع الجزئيات والمفردات وجمع المعلومات عن موضوع مصادر التلقي، وأهميتها ومكانتها، وكذلك أهم الأمور التي ينبغي مراعاتها عند التعامل مع مصادر التلقي، وأهمية سلامة فهم النص الشرعي فهماً صحيحاً، وعرض بعض المشاكل الفكرية كنتيجة من نتائج سوء التعامل وعدم الفهم الصحيح لمصادر التلقي حتى تكتمل الصورة عن الموضوع.

مع الالتزام بالمنهج العلمي بالرجوع للمصادر الأصلية، واتباع خطوات البحث العلمي. وأما ما يتعلق بالنصوص الشرعية فيتم ضبط النص القرآني، وتخريج الحديث النبوي من مصادره الأصلية، مع بيان مرتبتها من حيث الصحة والضعف.

المبحث الأول: مصادر التلقي وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المصدر الأول: القرآن الكريم (تعريفه ومنزلته).

المطلب الثاني: المصدر الثاني (السنة النبوية) التعريف والأهمية ومكانتها في الإسلام.

المطلب الأول: المصدر الأول:(القرآن الكريم) تعريفه ومنزلته.

تعريف القرآن الكريم:

القرآن: هو مصدر مرادف للقراءة، وهو بمعنى الجمع والضم، وقرأَ الشيء: جمعه وضمه بعضه إلى بعضٍ، وقرأتُ الشيء قُرْآناً: جمعْتُه وضممتُ بعضَه إلى بعضٍ.

ISSN : 2410-1818

والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، والقرآن في الأصل مصدر، نحو: كفران ورجحان. قال تعالى :﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾[القيامة:١٧ - ١٨]، وقال أَبو إسحاق الزجّاج: يسمى كلام اللّه تعالى الذي أَنزله على نبيهﷺ كتاباً وقُرْآناً وفُرْقاناً، ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمي قُرْآناً لأَنه يجمع السور فيضمها. (١)وقد خص لفظ القرآن الكريم بالكتاب المنزل على محمدﷺ، فصار له كالعلم كما أصبحت التوراة علم لما أنزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل على عيسى عليه السلام. قال بعضهم: تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب اللّه لكونه جامعا لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار تعالى إليه بقوله:﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل: ٨٩]، وقوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦][٢]

والقرآن في الاصطلاح:

تعددت عبارات العلماء في تعريف القرآن الكريم في الاصطلاح لكن جماع القول هو أن يقال في تعريفه بأنه: الكلام المعجز المنزل على النبي المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، وذلك لاشتماله على أهم الخصائص التي امتاز بها.

وقد قال الجرجاني بأن: القرآن هو المنزل على الرسول المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلا متواترا بلا شبهة [٣].

وعرفه بعض أهل الأصول بقوله: هو اللفظ المنزل على محمدﷺ للإعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته[٤] والمقصود ما يصدق عليه هذا من أول سورة الحمد إلى أخر سورة الناس.

ونلاحظ هنا أن هذه التعريفات تجمع الخصائص العظمى التي امتاز بها القرآن الكريم، وإن كان قد امتاز بغيرها، ولذلك نجد بعضهم اقتصر على ذكر وصف واحد، وبعضهم على وصفين.

---

١ – محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري [بدون تاريخ] لسان العرب: ١٢٨/١، دار صادر ، بيروت ط١. وانظر في تعريف القرآن: محمد بن يعقوب الفيروز أبادي[١٤٢١] القاموس المحيط: باب الهمزة فصل القاف، ص: ٥٩، دار إحياء التراث العربي، ط:٢، ومحمد مرتضى الحسيني الزبيدي [بدون تاريخ] تاج العروس من جواهر القاموس: ٣٧٠/١، دار الهداية، ت: مجموعة من المحققين.

٢ – أبو القاسم الحسين بن محمد[بدون تاريخ] المفردات في غريب القرآن: ٤٠٢/١.

٣ – علي بن محمد بن علي الجرجاني[١٤٠٥] التعريفات:٢٢٣/١، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:١ ، ت: إبراهيم الأبياري.

٤ – أحمد بن قاسم العبادي الشافعي [١٤١٧] الآيات البينات:٣٨٦/١، دار الكتب العلمية، ط:١.

ISSN : 2410-1818

منزلة القرآن الكريم:

- **منزلة القرآن الكريم في التشريع الإسلامي:**

أولوية هذا المصدر: كل أمة من الأمم تختلف وتتنوع لديها مصادر التلقي، غير أن مصدر التلقي الأول عند الأمة الإسلامية بشكل عام هو القرآن الكريم، فقد اتفق المسلمون جميعهم على أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتلقي والتشريع، ترجع إليه الأمة في معرفة العقائد والأحكام والحلال والحرام، ولا يجوز أبدًا تجاوز هذا المصدر إلى غيره إذا كان الحكم فيه واضحًا جليًا؛ حيث جاء إلينا بالتواتر الذي هو الخبر اليقيني من الرسول الأمين محمدﷺ الذي نقله إليه الروح الأمين جبريل عليه السلام من اللوح المحفوظ.

قال تعالى:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴿٨٩﴾﴾[النحل: ٨٩]، (فهو تبيانا لكل شيء سواء كان ذلك في أصول الدين وفروعه، أو في الأحكام المتعلقة بالدارين، وكل ما يحتاجه إليه العباد، من الأوامر والنواهي، أو في الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وذلك لما يحتويه من أصول وقواعد عامة.) (٥)

- **هيمنة القرآن الكريم على الكتب المتقدمة:**

من المعلوم أن القرآن هو آخر الكتب السماوية انزله الله على خاتم الأنبياء والمرسلين محمدﷺ، وقد ثبت ذلك بالدليل النقلي، والتواتر (٦) القطعي الذي لا شك فيه.

فكان القرآن الكريم المصدق والمهيمن على كل الكتب السماوية التي سبقته قال سبحانه وتعالى:﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال سبحانه وتعالى:﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴿٣٧﴾﴾ [يونس: ٣٧] (فالكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد مصدقاً للكتب الذي قبله، وشهيداً عليها أنها حق من عند الله أميناً عليها حافظا لها، وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب، يقال: إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده: قد هيمن فلان عليه.)(٧).

---

٥ – عبد الرحمن بن ناصر السعدي[٢٠٠٠] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:٤٤٧/١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ت: ابن عثيمين.

٦ – التواتر هو التتابع، والمراد به اصطلاحاً: رواية العدد الكثير أحالت العادة تواطؤهم على الكذاب رووا ذلك عن مثلهم من الابتداء إلى الانتهاء، وكان مستند انتهائهم الحس، وهو يدل على اليقين والقطع بصدق الخبر. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني [بدون تاريخ] نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: ج١/ص١، دار إحياء التراث العرب، بيروت، ت: ضمن كتاب سبل السلام.

٧ – أبو جعفر، الطبري [١٤٠٥] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٦٠٦/٤.

ISSN : 2410-1818

- **الامتناع عن تحريفه:**

ويدخل في الدلالة على المنزلة والمكانة لهذا المصدر العظيم من مصادر التلقي عند الأمة هو حفظه من التحريف أو التبديل، أو الزيادة فيه أو النقصان منه فقد قال سبحانه وتعالى:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[الحجر: ٩]، فالله سبحانه وتعالى تولى حفظه في وقت نزوله من (استراق كل شيطان رجيم، وحفظه بعد نزوله فقد استودعه في قلب رسوله، ثم في قلوب أمته من بعده، حتى بلغ حفاظه حد التواتر في كل عصر ومصر، وحفظ سبحانه ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، وحفظ معانيه من التبديل، ولا شك أن هذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين.) [٨]

ومن هذا أيضاً قوله تعالى:﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾[فصلت: ٤٢]، فهو محفوظ بحفظ الله من كل تحريف أو تبديل، ومصون من أن يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه، وقد ثبت هذا بالبرهان القاطع فبقاء القرآن الكريم محفوظاً إلى يومنا هذا، رغم المحاولات العديدة لأعداء هذا الدين من اليهود والنصارى، والملاحدة، وسائر الكفار والمشركين، ورغم كل الفتن المتنوعة التي مرت بها أمة الإسلام، وكذلك مراحل الضعف والتفرق خير شاهد على هذه المعجزة، وتحقق هذا الوعد الإلهي.

ولم يكن الاعتماد في نقله على نسخ المصاحف وحفظه في السطور وحدها فحسب؛ بل كان الاعتماد أيضاً على حفظه في الصدور، فكان المسلمون يحرصون كل الحصر على حفظ القرآن الكريم في صدورهم حتى أصبح محفوظاً في قلوب وصدور الألوف التي لا تحصى منهم.

وهذا مصداق قولهﷺ:" لا يغسله الماء" كما في حديث عياض المجاشعي -رضي الله عنه -أن رسول اللهﷺ قال ذات يوم في خطبته:" ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا... إلى أن قال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان" [٩].

فقوله:" لا يغسله الماء" أي محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب بل يبقى على مر الأزمان. [١٠]

وقد يسر الله حفظه لمن أراد ذلك فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر: ١٧]، وقد حصل لدى الأمة كلها الأجماع على النص القرآني الذي تلقته عن النبيﷺ والذي بين أيدينا، وانتقل إلى جميع الأمم في مشارق الأرض ومغاربها نقلاً عن أمة العرب ، وتم كتابته بالرسم العثماني ،وتعلمت الأمم نطقه العربي جيلاً بعد جيل، وهكذا على مر الأزمنة والعصور،

---

٨ – بتصرف عبد الرحمن السعدي[٢٠٠٠] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:١/ ٤٢٩.

٩ – رواه مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري [بدون تاريخ] صحيح مسلم: ٢١٩٧/٤، برقم:٢٨٦٥، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٠ – أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي[١٣٩٢] صحيح مسلم بشرح النووي: ١٩٨/١٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢ه، ط:٢.

ISSN : 2410-1818

وعلى اختلاف لغات هذه الأمم والشعوب، فترى المصحف الذي يقرأه العربي، أو الروسي، أو الصيني، أو الأمريكي، أو الفارسي، أو التركي، أو غيرهم هو نفس المصحف الذي تذيعه إذاعة القرآن الكريم في مكة، أو غيرها من الإذاعات في أي مكان في العالم.

وهذا الحفظ لكتاب الله سبحانه وتعالى صار من الحقائق الثابتة، ومن العقائد المعلومة من الدين بالضرورة لا يسع أحد أنكرها، أو الجهل بها.

المطلب الثاني: المصدر الثاني (السنة النبوية) التعريف والأهمية ومكانتها في الإسلام.

بعد الحديث عن المصدر الأول للنقل وهو القرآن الكريم نتحدث عن المصدر الثاني وهي السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وسيكون الحديث إن شاء الله تعالى عن السنة من حيث التعريف، والأهمية والمكانة التي تحظى بها السنة النبوية في التشريع الإسلامي.

تعريف السنة: في اللغة.

السنة: في اللغة تطلق ويراد بها الطريقة والسيرة، قال ابن منظور: والسنة الطريقة والسّنن أيضاً، والسنة الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أهل السّنة معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة، وهي مأخوذة من السّنن وهو الطريق[١١].

والسنة تطلق ويراد بها[١٢]: السيرة حسنة كانت، أو قبيحة كما في الحديث:" من سن سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة"[١٣].

السنة في الاصطلاح:

أما السنة في الاصطلاح: فاختلفت فيها عبارات أهل العلم من أهل اللغة، والحديث، والأصول وإن اتفقوا على المعنى العام لها بأنها الطريقة المسلوكة في الدين التي تشمل قوله، وفعله، وتقريرهﷺ، من غير افتراض[١٤].

فالسنة إذا أطلقت في الشرع، فإنما يراد بها ما أمر به النبيﷺ، ونهى عنه، وندب إليه قولاً وفعلاً مما لم ينطق به الكتاب العزيز.[١٥].

---

١١ – محمد بن منظور[بدون تاريخ] لسان العرب: ٢٢٠/١٣.

١٢ – الزبيدي[بدون تاريخ] تاج العروس: ٨٠٧٥/١، وانظر أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري[١٩٧٩]النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٠٢٢/٢، المكتبة العلمية، بيروت ، ت: طاهر أحمد الزاوى/ محمود محمد الطناحي، والجرجاني[١٤٠٥]التعريفات: ١٦١/١.

١٣ – رواه مسلم بن الحجاج[بدون تاريخ]صحيح مسلم: ٢٠٥٨/٤،برقم ١٠١٧.

١٤ – الجرجاني[١٤٠٥]التعريفات: ١٦١/١، و قاسم القونوي[١٤٠٦]أنيس الفقهاء: ١٠٦/١.

ISSN : 2410-1818

وسنقتصر في التعريف هنا على تعريف المحدثين للسنة وهي: ما أُثر عن رسول اللهﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية، أو خلقية، ولو كان قبل الرسالة [١٦]. فهي عامة تشمل الواجب وغيره كما هي عند أهل اللغة.

وحاصل الأمر أن لفظة السنة سواءً وردت في أحاديث الرسولﷺ أو في كلام الصحابة الكرام، أو التابعين، أو من جاء بعدهم من الأئمة الإعلام فبحسب موقعها فقد يراد بها الطريقة والهدي من غير افتراض ولا وجوب، أو الواجب، أو المستحب، أو ما يقابل البدعة.

أهمية السنة ومكانتها في الإسلام:

من المعلوم أن السنة النبوية هي مصدر التلقي الثاني التي تأخذ منها الأمة أمور دينها ودنياها، ولا تزال وستظل تحظى بالمكانة والأهمية في التشريع الإسلامي؛ فالسنة هي المبينة للكتاب العزيز، وهذه هي أهم وظائف الرسول ﷺ أعني تبيين القرآن الكريم وشرحه وتوضيحه.

وقد ورد في كثير من آيات القرآن الكريم، بيان مكانه سنة النبيﷺ، (فهي أصل من أصول الدين، وركن من أركانه، فيجب أتباعها ويحرم مخالفتها، وعلى هذا أجمع المسلمون) [١٧].

منها قوله تعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].وقوله تعالى:﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى:﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]، وقد جاء في السنة النبوية المطهرة أيضاً ما يؤكد هذا المعنى فعن المقدام بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ أنه قال:" ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني قد أوتيت القرآن ومثله، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة من مال معاهد إلا أن يستغنى عنها صاحبها"[١٨]

---

١٥ – أبو السعادات الجزري[١٩٧٩]النهاية في غريب الأثر: ١٠٢٢/٢، وانظر محمد بن منظور[بدون تاريخ] لسان العرب: ١٣/ ٢٢٠ ، الزبيدي [بدون تاريخ] تاج العروس: ٨٠٧٥/١.

١٦ – انظر في تعريف السنة: طاهر الجزائري الدمشقي[١٩٩٥] توجيه النظر إلى أصول الأثر:٤٠/١، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط:١، ت:عبد الفتاح أبو غدة.

١٧ – عبد الله بن محمد التلمساني[١٤١٩]شرح المعالم في أصول الفقه: ص ٤٩، دار علم الكتب، ط: الأولى، ت: عادل أحمد، وعلى معوض.

١٨ – سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي[بدون تاريخ] سنن أبي داود:٢٠٠/٤، برقم:٤٦٠٤، دار الفكر، ت:محمد محي الدين عبد الحميد، ورواه نحوه محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي[بدون تاريخ]سنن الترمذي:٣٧/٥، برقم:٢٦٦٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، وصححه محمد ناصر الدين الألباني[١٩٨٥]

ISSN : 2410-1818

فالرسولﷺ قد أوتي القرآن، وأوتي مثله السنة التي لم ينطق بها القرآن،(وقد أتفق على هذا من يعتد به من أهل العلم، فالسنة النبوية المطهرة مصدر مستقل من مصادر التشريع الإسلامي، وهي كالقرآن الكريم في مسألة التحليل والتحريم، كتحريم لحوم الحمر الأهلية، وتحريم كل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير، وغير ذلك مما لم يأت عليه الحصر) (١٩)والحاصل أن السنة هي وحي فهي بمنزلة القرآن الكريم، وهي تاليه له من حيث الاعتبار.

ويكفي في الدلالة على أهمية السنة النبوية ومكانتها كونها مبينة لأهم المصادر وهو القرآن الكريم، فهي مفسره له، وشارحه ومفصلة لمجمله، وموضحه لمبهمه، ومقيده لمطلقه، ومخصصة لعمومة، وهي كذلك مؤكدة لما جاء به.

هذا إلى جانب ما جاء في كثير من الآيات القرآنية التي تحث على طاعة النبيﷺ ومحبته، واقترانها بطاعة الله سبحانه وتعالى، فهي تدل على أهمية السنة ومكانتها، وتأكد على ضرورة التسليم لهﷺ بكل ما يصدر عنه من أحكام وتوجيهات، ومتابعته والاقتداء بهدية، والرجوع إليه سواء أكان ذلك في حياته، أو الرجوع إلى سنته بعد وفاته.

ولما كانت للسنة النبوية هذه المكانة والأهمية، عمل المسلمون على الاهتمام والعناية بها اهتماماً عظيماً لا تجد له مثيل فيمن سبق من الأمم، وبلغ بهم من الحرص عليها أن عملوا على حفظها في الصدور والسطور، وسافروا في البلدان، وهجروا لذائذ الدنيا، وتركوا معاشرة الأهل والأصحاب، مع الصبر على مرارة الاغتراب، ووضعوا القواعد والشروط والأحكام في نقلها وأدائها وكتابتها، واهتموا بعلومها وما يتعلق بسندها ومتنها، كل هذا حتى تصل إلينا صحيحة من الكذب والافتراء. وهو من حفظ الله سبحانه لدينه، وإكراماً لحبيبهﷺ.

المبحث الثاني: سلامة الفهم وأثره في الوقاية من الانحراف الفكري. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية سلامة فهم النص الشرعي في الوقاية في الانحراف الفكري.

المطلب الثاني: ظهور بعض الانحرافات الفكرية كنتيجة من نتائج سوء الفهم لمصادر التلقي.

المطلب الأول: أهمية سلامة فهم النص الشرعي في الوقاية في الانحراف الفكري.

قبل الحديث عن أهمية سلامة الفهم للنص الشرعي من الوقاية في الانحراف الفكري نتحدث بشكل مختصر عن معنى الانحراف الفكري والمقصود به:

مشكاة المصابيح(محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي):١/٣٥، برقم:١٦٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ط:٣، ت: محمد ناصر الدين الألباني.

١٩ – بتصرف الشوكاني[١٩٩٢]إرشاد الفحول: ١/٥٢.

ISSN : 2410-1818

معنى الانحراف الفكري:

عند النظر في تعريف معنى الانحراف الفكري كمصطلح مركب نجد تعدد المفاهيم فيه والتعريفات إلى حد ما، فقد اختلفت عبارات الباحثين في ضبط مفهومه والمراد منه، فكل باحث ينظر له من جهة معينة تخدم الفكرة التي يتحدث عنها، أو المراد الذي يصبو إليه فمنهم من قال بأن الانحراف الفكري هو:(الخروج عن الحد الشرعي الذي حده الله في كتابه أو على لسان رسولهﷺ، وأجمع العلماء على حرمته، مثل الإلحاد والتكفير بغير علم، والبغي وإجازة المحرمات وغيرها)[٢٠]. ونلاحظ أن في هذا التعريف تعريف للانحراف من وجهة نظر فقهية إن صح التعبير فقد اقتصر في تعريفه على المعنى الفقهي.

بمعنى الوقوع في المحرمات أو ارتكاب فعل نهت عنه الشريعة، ولا شك أن هذا نوعاً من أنواع الانحراف الفكري وأهمها.

وقيل هو:(اختلال فكر الإنسان وعقله، والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه وتصوراته وتوجهاته للأمور الدينية والسياسية إما إلى الإفراط أو إلى التفريط)[٢١]. ويلاحظ في التعريف النظر إليه كظاهرة عانى منها المجتمع لعدة عوامل وأسباب مختلفة، ولعل هذا التعريف من أقرب التعريفات.

أهمية سلامة فهم النص الشرعي في الوقاية من الانحراف الفكري:

لا شك في أهمية سلامة فهم النص الشرعي، في وقاية الأفراد والمجتمع من الوقوع من الانحراف الفكري، والبعد عن المراد من نصوص الوحي، ومصادر التلقي.

فالفهم الصحيح له آثار ايجابية فهو يجنب المجتمع ويلات التفرق والتمزق، ويحفظ للأمة الإسلامية هويتها، ويجنبها الانزلاق في براثين الفتن، والعداوة والبغضاء، واستباحة المحرمات، ويزيد الفهم الصحيح من قوتها ووحدتها وتمسكها بكتاب ربها، وسنة نبيها محمدﷺ.

وما نشاهده من سلوكيات منحرفة في المجتمعات الإسلامية، وظهور فرق ومذاهب فكرية منحرفة يروج لها أعداء الإسلام، ما هي إلا نتيجة من نتائج الانحراف الفكري الناتج عن سوء الفهم لنصوص الوحي من القرآن الكريم والسنة النبوية، وفهمها على غير مراد الله عز وجل.

وكذلك تظهر بين الفينة والأخرى آراء ودعاوى شاذة، وتفسيرات لنصوص الوحي تخالف المنهج الصحيح والمبادئ والقواعد التي قام عليها باسم الحرية تارة، وباسم التجديد تارة أخرى.

---

(٢٠) – عبد الحميد عبد الرحمن السحيباني [٢٠٠٨] الانحراف الفكري وأثره في الأمن في ضوء القرآن الكريم: ص:١٢، العدل السعودية، العدد: مج١١/ع٤١،٢٠٠٨م.

(٢١) – عبد الحفيظ بن عبد الله المالكي[٢٠٠٩] الأمن الفكري: مفهومه، أهميته، ومتطلبات تحقيقه: ص:٢٦.

ISSN : 2410-1818

ولذلك كان من الأهمية بمكان رعاية الأفكار وصيانتها من كل ما يلوثها، من خلال العلم النافع والعمل الصالح، حتى لا تكون مرتعاً خصباً للأفكار المنحرفة والهدامة، ونصوص القرآن والسنة في الحث على العلم النافع، والعمل الصالح معلومة ومشهورة.

ولضرورة الفهم وسلامته وأهميته جاء التحذير النبوي من سوء الفهم للنصوص على غير مردها، وكذلك سوء التعامل مع نصوص الوحي من خلال معارضة آيات ونصوص القرآن الكريم، أو السنة النبوية بعضها ببعض.

ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: خرج رسول اللهﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب. فقال:" بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض. بهذا هلكت الأمم قبلكم". (٢٢)

ولكي لا نقع بما وقع به أهل الكتاب من عدم فهم الكتاب فهماً صحيحاً، وبيان معناه ومراده كما في قوله تعالى:﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة: ٧٨]

فقد ذمهم الله تعالى بأنهم قد يعلمون الكتاب حفظاً وقراءة ولكن لا يعرفون معناه، فهم لا يعلمون الكتاب إلا أماني أي لا علم لهم به إلا ما هم عليه من الأماني التي يتمنونها، ويعللون بها أنفسهم. وقيل: لا علم لهم إلا مجرد التلاوة من دون تفهم وتدبر(٢٣).

وفي الصحيحين(٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللهﷺ قال:" ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم" فأمرهم بالإمساك عما لم يؤمروا به معللا بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية(٢٥).

فالانحراف الفكري الناتج عن سوء الفهم لمصادر التلقي والتعامل معها، والذي يسبب هذا الاختلاف المذكور يكون عاملاً من عوامل تفرق الأمة وتمزقها، وسبباً من أسباب التناحر والتنافر بين أبنائها،

---

(٢٢) – رواه أحمد بن حنبل [بدون تاريخ] مسند الإمام أحمد بن حنبل:١٩٥/٢، برقم:٦٨٤٥، ومحمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني[بدون تاريخ]سنن ابن ماجه:٣٣/١، برقم:٨٥، دار الفكر، بيروت، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، وصححه محمد ناصر الدين الألباني[بدون تاريخ] صحيح الترغيب والترهيب:١/ ٣٣، برقم:١٤٠، مكتبة المعارف، الرياض، ط: الخامسة.

(٢٣) – انظر في تفسير الآية: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي[بدون تاريخ]معالم التنزيل:٨٨/١، دار المعرفة، بيروت، ت: خالد عبد الرحمن العك، والشوكاني[بدون تاريخ]فتح القدير:١٠٤/١، و عبد الرحمن السعدي[٢٠٠٠]تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:٥٦/١.

(٢٤) – رواه البخاري، محمد بن إسماعيل[١٩٨٧] صحيح البخاري:٢٦٥٨/٦، برقم:٦٨٥٨، ومسلم بن الحجاج[بدون تاريخ]صحيح مسلم:٩٧٥/٢، برقم:١٣٣٧.

(٢٥) – ابن أبي العز الحنفي[١٣٩١] شرح العقيدة الطحاوية:٥٨٣/١، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الرابعة.

ISSN : 2410-1818

وما تعانيه الأمة اليوم على سبيل المثال من ظهور جماعات تستبيح دماء المسلمين، وتزهق أرواحهم، وظهور التكفير عند بعض أبنائها خير شاهد على ذلك.

وقد حذر النبيﷺ في كثير من الأحاديث والتوجيهات النبوية أمته من التفرق والتشرذم، ودعاهم إلى الوحدة والألفة والتعاون والمحبة والأحاديث في ذلك معلومة ومشهورة.

ومن المعلوم أن الاختلاف المذموم من الأمور التي تعود على المجتمع المسلم المتماسك بالسلب، ويسبب له النزاع والشقاق والتنافر والبغضاء فيهدد وحدته الفكرية والمجتمعية، ويفتح للشيطان وأعداء الإسلام أبواب الشر والضلال.

والناظر في سيرة النبيﷺ، يجد العديد من المواقف التي تصدى فيها رسول اللهﷺ للسلوكيات والأفهام الخاطئة التي حصلت في زمانه، وكيف عالجها، وحذر منها.

من ذلك معالجته لقضية الثلاثة الرهط الذين جاءوا إلى أزواج النبي يسألون عن عبادة النبيﷺ فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها فقالوا أين نحن من النبي، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر..فجاء رسول اللهﷺ فقال:" أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني".(٢٦)

وكذلك عندما اجتماع نفر من الصحابة الكرام، واتفقوا على أن يترهبوا ويلبسوا المسوح وهو الصوف ويجبوا مذاكيرهم - أي يقطعوها -، ويصوموا الدهر، ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش، ولا يأكلوا اللحم والودك -أي الدسم من السمن والدهن -، ولا يقربوا النساء والطيب، ويسيحوا في الأرض فبلغ ذلك رسول الله ﷺ... فجمع الناس وخطبهم فقال:" ما بال أقوام حرموا النساء، والطعام، والطيب، والنوم، وشهوات الدنيا إني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا فإنه ليس في ديني ترك اللحم، والنساء، ولا اتخاذ الصوامع، وإن سياحة أمتي الصوم، ورهبانيتهم الجهاد، واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وحجوا واعتمروا ، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، واستقيموا يستقم لكم فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع"(٢٧)

ومن ذلك النهي عن الغلو في الدين كما ورد في كثير من الآيات والأحاديث النبوية من ذلك قوله تعالى:﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ١٧١﴾ [النساء: ١٧١]

(٢٦) – رواه البخاري، محمد بن إسماعيل[١٩٨٧]صحيح البخاري:٥/١٩٤٩، برقم: ٤٧٧٦، ومسلم بن الحجاج[بدون تاريخ]صحيح مسلم:٢/١٠٢٠، برقم:١٤٠١.

(٢٧) – علي بن سلطان محمد القاري[٢٠٠١] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:١/٣٤٤، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط: الأولى، ت: جمال عيتاني.

ISSN : 2410-1818

فالغلو: تجاوز الحد المألوف، والغلو في الدين أن يُظهر المتديّن ما يفوت الحد الذي حدد له الدين، ونهاهم أي أهل الكتاب عن الغلو لأنَّه أصل لكثيرٍ من ضلالهم وتكذيبهم للرسل الصادقين(٢٨).

فالغلو والتحذير منه وبيان عاقبته بالهلاك دليل على التحريم، وأنه يبعد صاحبه عن الصواب ليقع في الانحراف الفكري.

ومن الأحاديث النبوية قولهﷺ:" إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق"(٢٩). أي صلب شديد وقوله:" فأوغلوا" أي سيروا فيه برفق من غير تكلف ولا تحملوا على أنفسكم ما لا تطيقونه فتعجزوا وتتركوا العمل(٣٠).

وقال النبيﷺ:" أيها الناس عليكم بالقصد عليكم بالقصد فإن اللّه لا يمل حتى تملوا."(٣١) أي ألزموا السداد والتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط(٣٢).

وكل هذا وغيره يدل دلالة واضحة على أهمية وضرورة سلامة الفهم الصحيح للنص الشرعي ومعرفة المراد منه على الوجه الذي أراده الشارع، وإسهام هذا الفهم الصحيح في الوقاية من الانحراف الفكري، ولا شك أن التقصير في ذلك يؤدي إلى خلل واضح في منهج التلقي.

وإلى زعزعة حصون المجتمع، واستباحة الدماء، وتفرقه وتمزقه، وانتشار الأفكار والمذاهب الهدامة المنافية لقيم الدين الإسلامي الحنيف.

الأمور التي لا بد منها لفهم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة:

اعتنى علماؤنا عناية بالغه بالأمور التي لا بد منها، والتي ينبغي مراعاتها في فهم الكتاب الكريم، والسنة النبوية المطهرة، لأهميتها ومكانتها، فهي مصدر التلقي عند المسلم، ومنها يعرف مراد اللّه سبحانه وتعالى، فكان لا بد من فهمها فهماً صحيحاً حتى لا ينحرف الإنسان عن جادة الصواب والهدى، ويزيغ في مهاوي الغي والضلال، ويذهب بعيداً عن هدي سيد العباد.

فالقرآن الكريم هو أصول الأصول، يقول الإمام الشاطبي في حديثه عن القرآن الكريم:(قد تقرر أنه كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة...وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير

---

(٢٨) – بن عاشور التونسي[٢٠٠٠] التحرير والتنوير:٤/ ٣٣٠.

(٢٩) – رواه أحمد بن حنبل[بدون تاريخ]مسند الإمام أحمد بن حنبل:١٩٨/٣، برقم:١٣٠٧٤، ومحمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي[١٤١٠]الأحاديث المختارة:١٢٠٩/٦، برقم:٢١١٥، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط: الأولى، ت: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، وقال: إسناده حسن، وحسنه محمد ناصر الدين الألباني[بدون تاريخ]السلسلة الضعيفة:٥/ ٥٠١، برقم:٢٤٨٠، مكتبة المعارف، الرياض.

(٣٠) – عبد الرؤوف المناوي[١٣٥٦] فيض القدير شرح الجامع الصغير:٥٤٤/٢، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط: الأولى.

(٣١) – رواه القزويني[بدون تاريخ]سنن ابن ماجه:١٤١٧/٢،برقم:٤٢٤١، وابن حبان[١٩٩٣]صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان:٧٢/٢، برقم: ٣٥٧، وحسنه محمد ناصر الدين الألباني[بدون تاريخ]السلسلة الصحيحة:٣٥٤/٤، برقم:١٧٦٠، مكتبة المعارف، الرياض.

(٣٢) – عبد الرؤوف المناوي[١٣٥٦] المصدر السابق:١٦٠/٣.

ISSN : 2410-1818

واستدلال عليه؛ لأنه معلوم من دين الأمة، وإذا كان كذلك لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة، وطمع في إدراك مقاصدها، واللحاق بأهلها أن يتخذه سميره، وأنيسه، وأن يجعله جليسه على مر الأيام والليالي نظراً، وعملاً... فإن كان قادرا على ذلك، ولا يقدر عليه إلا من زاول ما يعينه على ذلك من السنة المبينة للكتاب، وإلا فكلام الأئمة السابقين، والسلف المتقدمين آخذ بيده في هذا المقصد الشريف والمرتبة المنيفة)(٣٣).

ومن خلال الكلام السابق يمكن أن نجمل الأمور التي لا بد منها لفهم القرآن الكريم والسنة النبوية بما يلي:

الأول: الحرص على فهمه وتدبره، والعمل به عملاً بقوله تعالى:﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾[ص: ١]، وقوله تعالى:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ۝٢٤﴾[محمد: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ۝٤﴾ [القمر: ٤]

الثاني: الدربة والمران على معرفة مدلولات العربية، وأساليب العرب، ومعهوداتهم في الخطاب، وما يتعلق بذلك؛ فهذا مما يساعد على الفهم والتفسير فالقرآن كتاب عربي، وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري:" أما بعد فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرآن فإنه عربي" (٣٤).

فتعلم اللغة العربية فرض لمن أراد فهم الكتاب والسنة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:(وأيضا فإن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ثم منها ما هو واجب على الأعيان، ومنها ما هو واجب على الكفاية) (٣٥)

والنبيﷺ عربي، وهو أفضل من تكلم بالعربية. لذلك يجب تعلم النحو واللغة ومدلولات الألفاظ وأساليب العرب لأن (من وسم اسمه باسم العلم والفقه وهو جاهل للنحو واللغة فحرام عليه أن يفتي في دين الله بكلمة، وحرام على المسلمين أن يستفتوه، لأنه لا علم له باللسان الذي خاطبنا الله تعالى به... فمن لم يعلم اللسان الذي به خاطبنا الله عز وجل، ولم يعرف اختلاف المعاني فيه لاختلاف الحركات في ألفاظه، ثم أخبر عن الله بأوامره ونواهيه فقد قال على الله ما لا يعلم)(٣٦).

---

٣٣ – باختصار إبراهيم بن موسى الشاطبي [بدون تاريخ] الموافقات: ٣٤٦/٣.

٣٤ – أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي[١٤٠٩] الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار:١١٦/٦، برقم:٢٩٩١٤، مكتبة الرشد، الرياض، ط: الأولى، ت: كمال يوسف الحوت.

٣٥ – أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس[١٣٦٩] اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم:٢٠٧/١، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة، ط:٢، ت: محمد حامد الفقي.

٣٦ – باختصار من بن حزم الظاهري، علي بن أحمد بن سعيد[١٩٨١]رسائل ابن حزم الأندلسي:١٦٢/٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط: الأولى.

ISSN : 2410-1818

ويدخل ضمن هذا الموضوع عدم استخدام الفاظ ومعاني لم يؤلف استعمالها في ذلك المعني في لغة المخاطب، وإن ألف في الاصطلاح الحادث، وهذا الموضع من المواضع الخطيرة التي زلت فيه أقدام كثير من الناس وضلت فيه أفهامهم حيث تأولوا كثيراً من ألفاظ النصوص بما لم يؤلف استعمال اللفظ له في لغة العرب البتة، وإن كان معهوداً في اصطلاح المتأخرين، وهذا مما ينبغي التنبه له فإنه حصل بسببه من الكذب على الله ورسوله ما حصل[٣٧].

الثالث: الاستعانة بسنة رسول اللهﷺ، وهذا من الأمور الأساسية، فالسنة هي المصدر الثاني، وهي المبينة للكتاب، وقد سبق الحديث عن هذا عند الحديث عن أهمية السنة النبوية ومكانتها.

الرابع: الاستعانة بفهم السلف الصالح من الصحافة والتابعين فهم اعرف بالمقصود من غيرهم، لقربهم من وقت نزول الوحي، وهم أعلم الناس بكلام العرب الذي نزل به القرآن الكريم، وعاصروا تطبيق أحكامه.

يقول الإمام الشاطبي:(وبعد ذلك ينظر في تفسير السلف الصالح له إن أعوزته السنة فإنهم أعرف به من غيرهم، وإلا فمطلق الفهم العربي لمن حصله يكفي فيما أعوز من ذلك)[٣٨].

ومن الأمثلة على ذلك ما روي عن عروة بن الزبير قال:" قلت لعائشة "وأنا يومئذ حديث السن": أرأيت قول الله تعالى:﴿۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ١٥٨﴾ [البقرة: ١٥٨] فما على الرجل شيء أن لا يطوف بهما فقالت عائشة: كلا لو كان كما تقول لكانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما نزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لمناة الطاغية، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله":﴿۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ١٥٨﴾ الآية[٣٩]فبينت له ابتداء طريقة استعمال العرب لو كان المعنى كما وهمه عروة ثم بينت له مثار شبهته الناشئة عن قوله تعالى:﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ١٥٨﴾ الذي ظاهره رفع الجناح عن الساعي الذي يصدق بالإباحة دون الوجوب[٤٠].

الخامس: معرفة أسباب النزول:

---

٣٧ – بتصرف يسير أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي[١٩٩٨]الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة:١٨٩/١، دار العاصمة، الرياض، ط: الثالثة، ت: د. علي بن محمد الدخيل الله.

٣٨ – إبراهيم بن موسى الشاطبي [بدون تاريخ] الموافقات: ٣٦٩/٣.

٣٩ – رواه البخاري، محمد بن إسماعيل [١٩٨٧] صحيح البخاري: ٦٣٥/٢،برقم:١٦٩٨، ومسلم بن الحجاج[بدون تاريخ] صحيح مسلم:٩٢٨/٢، برقم:١٢٧٧.

٤٠ – محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي[٢٠٠٠] التحرير والتنوير: ٢١/١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط: الأولى.

ISSN : 2410-1818

وفي ذلك فوائد عديدة منها معرفة الحكمة الباعثة على تشريع هذا الحكم، ومنها تخصص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، وكذلك دفع توهم الحصر، ومن أهمها كذلك الوقوف على المعنى، فبيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب، وهو أمر تحصل للصحابة الكرام بقرائن تحتف بالقضايا.[٤١]

فمعرفة سبب النزول يساعد في فهم الآيات، ويدفع عنها الإشكال قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)[٤٢].

ولذلك فمعرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن، لسببين:

أحدهما: -أن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلاً عن معرفة مقاصد كلام العرب، إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطبِ أو المخاطبَ أو الجميع، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين وبحسب مخاطبين وبحسب غير ذلك كالاستفهام لفظه واحد ويدخله معان أخر من تقرير وتوبيخ وغير ذلك، وكالأمر يدخله معنى الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهها.... الخ

الوجه الثاني: -وهو أن الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع.[٤٣]

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في الصحيح[٤٤] "أن مروان أرسل بوابه إلى ابن عباس وقال قل له: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ثم قرأ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٧ -١٨٨]ومن خلال معرفة هذا السبب يتبين أن المراد من الآية غير ما فهمه مروان.

---

٤١ - بتصرف من محمد بن بهادر الزركشي[١٣٩١] البرهان في علوم القرآن:٢٢/١، دار المعرفة، بيروت، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٤٢ - أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس [بدون تاريخ] كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية:٣٣٩/١٣، مكتبة ابن تيمية، ط: الثانية، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.

٤٣ - باختصار من إبراهيم بن موسى الشاطبي [بدون تاريخ] الموافقات: ٣٤٧/٣ وما بعدها.

٤٤ - رواه البخاري، محمد بن إسماعيل[١٩٨٧] صحيح البخاري:١٦٦٥/٤، برقم:٤٢٩٢، ومسلم بن الحجاج [بدون تاريخ] صحيح مسلم: برقم:٢١٤٣/٢٧٧٨،٤.

ISSN : 2410-1818

ومن الأمثلة كذلك لفظ القنوت في قوله تعالى:﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ٢٣٨﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وما يحتمله من معاني متعددة فقد قيل في معناه: الطاعة أي قوموا لله في صلاتكم طائعين، وقيل: هو الخشوع، وقيل: الدعاء، وقال قوم: المقصود به طول القيام، وقيل معناه: ساكتين، ويدل عليه حديث زيد ابن أرقم قال:" كان الرجل يكلم صاحبه في عهد النبي ﷺ في الحاجة في الصلاة حتى نزلت هذه الآية ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ٢٣٨﴾ فأمرنا بالسكوت."(٤٥).

وقيل: أصل القنوت في اللغة الدوام على الشيء، وغيرها من المعاني التي أوصلها بعض أهل العلم إلى ثلاثة عشر معنى، والمتعين ها هنا حمل القنوت على السكوت للحديث المذكور.(٤٦)

وكذلك في السنة النبوية فمن الأمور التي ينبغي مراعاتها معرفة الأسباب التي وقعت عليها الأحاديث، فالجهل بذلك يوقع الإنسان في الشبه والتأويلات الفاسدة أو البعيدة عن المراد، ومن الأمثلة على ذلك: حديث "الأعمال بالنيات"(٤٧) واقع عن سبب وهو أنهم لما أمروا بالهجرة هاجر ناس للأمر، وكان فيهم رجل هاجر بسبب امرأة أراد نكاحها تسمى أم قيس، ولم يقصد مجرد الهجرة للأمر فكان بعد ذلك يسمى مهاجر أم قيس (٤٨).

ومن الأمثلة نهى النبيﷺ عن" ادخار لحوم الأضاحي بعد ثلاث" فلما كان بعد ذلك قيل لقد كان الناس ينتفعون بضحاياهم ويحملون منها الودك ويتخذون منها الأسقية فقال: وما ذلك قالوا: نهيت عن لحوم الضحايا بعد ثلاث فقالﷺ:"إنما نهيتكم من أجل الدافة التي دفت عليكم فكلوا وتصدقوا وادخروا"(٤٩).

ومن ذلك حديث التهديد بإحراق البيوت لمن تخلف عن صلاة الجماعة فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:" والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقا سمينا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء"(٥٠).

---

٤٥ – رواه البخاري، محمد بن إسماعيل [١٩٨٧] المصدر السابق:٤٠٢/١، برقم: ١١٤٢، ومسلم بن الحجاج [بدون تاريخ] المصدر السابق:٣٨٣/١، برقم:٥٣٩.

٤٦ – باختصار من الشوكاني [بدون تاريخ]فتح القدير: ٢٥٨/١.

٤٧ – رواه البخاري، محمد بن إسماعيل[١٩٨٧]صحيح البخاري:٣/١،برقم:١، ومسلم بن الحجاج[بدون تاريخ]صحيح مسلم: ١٥١٥/٣، برقم:١٩٠٧.

٤٨ – إبراهيم بن موسى الشاطبي[بدون تاريخ]الموافقات: ٣٥١/٣.

٤٩ – رواه مسلم بن الحجاج[بدون تاريخ]المصدر السابق: ١٥٦١/٣، برقم:١٩٧١.

٥٠ – رواه البخاري، محمد بن إسماعيل[١٩٨٧]صحيح البخاري:٢٣١/١، برقم:٦١٨، ومسلم بن الحجاج[بدون تاريخ]صحيح مسلم:٤٥١/١، برقم:٦٥١.

ISSN : 2410-1818

فقد بين حديث ابن مسعود رضي الله عنه بأن المراد بهم أهل النفاق، بقوله:" ولقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد علم نفاقه" [٥١].

قال الإمام النووي [٥٢]: (هذا دليل ظاهر لصحة ما سبق تأويله في الذين هم بتحريق بيوتهم أنهم كانوا منافقين). [٥٣] وسياق الحديث يقتضيه فانه لا يظن بالمؤمنين من الصحابة الكرام أنهم يؤثرون متاع الدنيا من العظم السمين على حضور الجماعة مع رسول اللهﷺ.

السادس: معرفة عادات العرب في أقوالهم وأفعالهم، وأعرافهم ومعهوداتهم في أساليب القول: وبمعنى أدق معرفة البيئة العربية يقول الإمام الشاطبي: ومن ذلك معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها حالة التنزيل وإن لم يكن ثمّ سبب خاص لا بد لمن أراد الخوض في علم القرآن منه، وإلا وقع في الشبه والإشكالات التي يتعذر الخروج منها إلا بهذه المعرفة، ولا بد من ذكر أمثلة تعين على فهم المراد وإن كان مفهوماً.

أحدها: قول الله تعالى:﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ ١٩٦﴾ [البقرة: ١٩٦]فإنما أمر بالإتمام دون الأمر بأصل الحج لأنهم كانوا قبل الإسلام آخذين به لكن على تغيير بعض الشعائر ونقص جملة منها كالوقوف بعرفة وأشباه ذلك مما غيروا فجاء الأمر بالإتمام لذلك، وإنما جاء إيجاب الحج نصاً في قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ٩٧﴾[آل عمران: ٩٧]، وإذا عرف هذا تبين هل في الآية دليل على إيجاب الحج أو العمرة أم لا؟

والثاني: قوله تعالى:﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ٤٩﴾ [النجم: ٤٩] فعين هذا الكوكب لكون العرب عبدته وهم خزاعة ابتدع ذلك لهم أبو كبشة، ولم تعبد العرب من الكواكب غيرها فلذلك عينت،[٥٤] وغيرها من الأمثلة تنظر في محلها.

السابع: معرفة قواعد التفسير:

وهناك مجموعة من القواعد التي وضعها أهل العلم تساعد في فهم القرآن الكريم، واستنباط الأحكام منه، كما تساعد على فهمه وتدبره، وتفسيره بشكل صحيح، كما تقوم بضبط ما له تأثير في تفسيره وبيانه كاختلاف القراءات، ومجاز القرآن، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، والتفسير بالمأثور، وإعراب القرآن وغيرها.

---

٥١ – رواه مسلم بن الحجاج[بدون تاريخ] المصدر السابق:٤٥٣/١، برقم:٦٥٤.

٥٢ – بتصرف يسير من إبراهيم بن موسى الشاطبي[بدون تاريخ] الموافقات:١٥٣/٥.

٥٣ – أبو زكريا النووي[١٣٩٢] صحيح مسلم بشرح النووي:١٥٦/٥.

٥٤ – بتصرف من إبراهيم بن موسى الشاطبي [بدون تاريخ] المصدر السابق:٣٥١/٣ وما بعدها.

ISSN : 2410-1818

قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية هي:(قواعد كلية تعين على فهم القرآن، ومعرفة تفسيره ومعانيه، والتمييز في منقول ذلك ومعقولة بين الحق وأنواع الأباطيل، والتنبيه على الدليل الفاصل بين الأقاويل) (٥٥)

وهذا القواعد التي أشار إليها شيخ الإسلام لا بد من إدراكها ومعرفتها عند التعامل مع كتاب الله العزيز وخاصة بعد ما دخل على كتب التفسير والمصنفات الخاصة به من غث وسمين، فلا بد منها لتمييز الصحيح من غيره.

الثامن: معرفة صحتها والتأكد من سلامتها:

وهذا من القواعد المتعلقة بالسنة النبوية وهي التأكد من صحة هذه الأحاديث ونسبتها إلى رسول اللهﷺ؛ ومن المعلوم أن سنة النبيﷺ نوع من أنواع الوحي، ينبني عليها استنباط حكم، أو أمر أو نهي عن شيء، أو ترهيب أو ترغيب. فلا بد من التثبت فيها، والتأكد من صحتها، فكيف يبني حكماً على حديث لم يصح عن رسول اللهﷺ، وقد ورد النهي والوعيد في ذلك أعني الكذب على رسول اللهﷺ.

وبعد التأكد والتثبت من صحة رواية هذه النصوص يأتي بعد ذلك فهمها، والاستنباط منها، والدراية التامة بها.

التاسع: جمع النصوص الواردة في المسألة الواحدة.

ومن الأمور المعينة على فهم نصوص الكتاب والسنة جمع جميع النصوص المتعلقة بقضية معينة، أو في مسألة من المسائل، والإحاطة بها، ليتمكن من النظر إليها نظره شاملة، ومن كل النواحي، فتكتمل معها الصورة، فالنصوص تفسر بعضها بعضاً، وهذا يؤدي إلى عدم تعطيل بعض هذه النصوص.

وهذا فعل الجهال أي العمل ببعض النصوص دون بعض فهم (يحتجون لأنفسهم بأدلة فاسدة، وبأدلة صحيحة اقتصار بالنظر على دليل ما واطراحاً للنظر في غيره من الأدلة الأصولية والفروعية العاضدة لنظره أو المعارضة له) (٥٦)

ويدخل في ذلك أي جمع النصوص حمل هذه النصوص بعضها على بعض فيحمل المطلق على المقيد، والمجمل على المبين، ويرد المتشابه إلى المحكم، أو الجمع بين النصوص كنصوص الوعد والوعيد، أو العموم والخصوص، أو النفي والإثبات وغيرها كما هو معلوم، وبهذا يتضح المعنى المراد منها، ولا يحصل التعارض بينها، وهذا هو المعمول به عند الأئمة الراسخين في العلم.

٥٥ – أحمد عبد الحليم بن تيمية [بدون تاريخ] كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية:١٣/٣٢٩.

٥٦ – أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي[بدون تاريخ] الاعتصام:١/٢٢٢، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

ISSN : 2410-1818

وكذلك من الأمور المهمة فهم السنة النبوية في ضوء القرآن الكريم، فالسنة مبينة ومكملة للقرآن الكريم، فلا يمكن أن يكون هناك تعارض بين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

فهذه جملة الأمور التي لا بد منها لصحة فهم القرآن الكريم والسنة النبوية، وسلامة فهمها، ولا شك أن الابتعاد عنها أو إغفالها. يؤدي إلى الانحراف الفكري والذهاب بعيداً عن المراد، ومخالفة إجماع الأمة وما كان عليه سلفها وخلفها، والوقوع في الفتن، وخدمة أعداء الأمة، والإتيان بالعجائب والغرائب.

المطلب الثاني: ظهور بعض الانحرافات الفكرية كنتيجة من نتائج سوء الفهم لمصادر التلقي.

من المعلوم أنه عند حصول الاختلال والانحراف كنتيجة لعدم الإدراك والاستيعاب لأهم القضايا المتعلقة بفهم مصادر التلقي لا شك أن ذلك يعود على صاحبه بنتائج سلبية، وينتج عنه مجموعة من الأمور تشكل بمجموعها خطر على الفرد نفسه، أو المجتمع الذي يعيش فيه.

فالانحراف الفكري قد يعني ضياع الدين برمته، وقد يعني ضياع الأعمال - من قربات أو طاعات -التي يقوم بها الإنسان فيصبح عمله هباءً منثوراً، وقد يأتي بأشياء يحسبها من الدين وما هي منه. فعلى سبيل المثال: عند حصول الانحراف الفكري يكون سبباً كما ذكرنا إلى ترك الدين وهذا يعني ترك العبادات، أو الانحراف في أدائها بسبب الإتيان بأشياء يظنها من الدين وليست من الدين:" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[(٥٧)].

وكذلك عند عدم استقامة المعتقد، وسلامته من الانحراف والابتعاد عن المنهج الحق المبين، وحصول الانحراف الفكري عند الإنسان يعرضه لأن يكون عمله هباء منثوراً لا قبول له في ميزان الإسلام قال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، وهذا من النتائج الخطيرة المترتبة على الانحراف الفكري التي يحصد صاحبه ثماره في الآخرة.

والانحراف الفكري يعنى ظهور الفرق المخالفة، وانتشار الجهل والغلو والتطرف والإرهاب وما تجره على الأمة من ويلات وفتن.

والانحراف الفكري يعني ظهور دعوات وانتشار شبهات تطعن في أصول الدين ومصادره الأصلية والتشكيك في مصادر التلقي كالطعن في السنة النبوية، أو كتب الصحاح وغيرها.

وسوف نشير إلى شيء من ذلك بشكل موجز:

- **ظاهرة التكفير.**

وهذه الظاهرة من أهم مظاهر الانحراف الفكري فبسبب سوء الفهم للعديد من النصوص الشرعية التي وردت في حوادث معينة وحملها على غير مرادها، وقع الانحراف الفكري في هذه القضية وهي من أخطر القضايا التي تواجه المجتمعات الإسلامية في العصر الحاضر، وأدت إلى انتشار ظاهرة

(٥٧) - رواه البخاري، محمد بن إسماعيل[١٩٨٧] صحيح البخاري:٩٥٩/٢، برقم:٢٥٥٠، ومسلم بن الحجاج[بدون تاريخ]صحيح مسلم:١٣٤٣/٣، برقم: ١٧١٨، وهذا لفظه.

ISSN : 2410-1818

التكفير في المجتمعات الإسلامية قديماً وحديثاً، فاليوم نعاني من تكفير المجتمعات الإسلامية، وتكفير الحاكم، وتكفير المعين.

ولا شك بأن هذا الأمر جد خطير فقد تطاول فيه كل من هب ودب من المبتدئين من طلبة العلم الشرعي وغيرهم من الجماعات التي ظهرت هنا وهناك، لأن:(الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار) (٥٨).

ومن الأمثلة على ذلك:

الآيات والنصوص التي وردت في قضية الحكم والحاكمية، وهي التي يدندن عليها أهل التكفير كثيراً ما ورد من عموم في قوله تعالى:﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٤ -٤٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧]، ففي هذه الآيات حملوا لفظ الكفر على معنى واحد وهو الخروج من الدين، وبالتالي لا فرق بين من وقع في الكفر وبين غيره من المشركين الخارجين عن ملة الإسلام.

قال الجصاص:(وقد تأولت الخوارج هذه الآية على تكفير من ترك الحكم بما أنزل الله من غير جحود لها وكفروا بذلك كل من عصى الله بكبيرة أو صغيرة...) (٥٩)

ولا شك بأن هذا فهم خاطئ وغير صحيح، فقد اختلف العلماء في تفسير هذه الآيات(٦٠) وفيمن نزلت على أقوال عدة، وقال فيها ترجمان القرآن الكريم عبد الله بن عباس رضي الله عنه بأنها محمولة على من لم يحكم بما أنزل الله رداً للقرآن وجحداً لقول الرسولﷺ، فهي على هذا عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار أي معتقدا ذلك ومستحلا له.

(٥٨) – محمد بن علي بن محمد الشوكاني[١٤٠٥] السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: ٥٧٨/٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ت: محمود إبراهيم زايد.

(٥٩) – أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر[١٤٠٥] أحكام القرآن للجصاص:٩٤/٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ت: محمد الصادق قمحاوي.

(٦٠) – انظر في تفسير الآية وأقوال أهل العلم فيها: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي[بدون تاريخ] الجامع لأحكام القرآن، ١٩٠/٦ ، دار الشعب، القاهرة ، وفخر الدين الرازي[٢٠٠٠]التفسير الكبير:٦/١٢.

ISSN : 2410-1818

قال ابن عبد البر:(وقد ضلت جماعة من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة في هذا الباب فاحتجوا بهذه الآثار ومثلها في تكفير المذنبين واحتجوا من كتاب الله بآيات ليست على ظاهرها مثل قوله عز وجل:﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[المائدة:٤٤].)[٦١]

ثم إن الكفر قد يكون كفراً اعتقادياً أو كفراً عملياً يقول ابن أبي العز الحنفي: (وهنا أمر يجب أن يتفطن له وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة، وقد يكون معصية كبيرة، أو صغيرة، ويكون كفراً إما مجازياً وإما كفراً أصغر على القولين المذكورين، وذلك بحسب حال الحاكم فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاص ويسمى كافراً كفراً مجازياً ، أو كفراً أصغر وإن جهل حكم الله فيها مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه فهذا مخطىء له أجر على اجتهاده وخطؤه مغفور)[٦٢].

وكذلك من الأمثلة على هذا تكفير أهل المعاصي، والقول بخلودهم في النار فقد استدلوا بما ورد من عموميات في القرآن والسنة دون النظر الى نصوص أخرى كان لا بد من الأخذ بها أيضاً في هذه المسألة كقوله تعالى:﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان: ٤٣]، وقوله:﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٣]، وقولهﷺ:" كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا يا رسول الله: ومن يأبى قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى"[٦٣]

وفي العصر الحاضر قال قائلهم:(إن لفظة الكفر ما جاءت في الشريعة إلا لتدل على عكس الإيمان وانتفائه، وهي تعبر عن حكم عام يشتمل على عدة أنواع منه لكل نوع منها اسم عَلَم خاص به كالفسق والظلم والخبث فحينما يقول تبارك تعالى:﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾[الحجرات: ٧] فإن جميع الثلاثة كفر من حيث الحكم العام مختلفين كذا من حيث أسماء الأعلام ومداخل الكفر تماماً...).

(٦١) – أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري[١٣٨٧]التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد:١٦/١٧، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ت: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري.

(٦٢) – ابن أبي العز الحنفي[١٣٩١] شرح العقيدة الطحاوية:٣٦٣/١، ٣٦٤.

(٦٣) – رواه البخاري، محمد بن إسماعيل [١٩٨٧]صحيح البخاري:٢٦٥٥/٦، برقم:٦٨٥١.

ISSN : 2410-1818

ولا شك أن هذا الكلام غير صحيح أعني أن لفظ الكفر في الشريعة لا يأتي الا للدلالة على عكس الإيمان، وأنه حكم عام يشتمل على عدة أنواع، فالكفر غير معنى العصيان، والفسوق، بدليل الآية التي استدلوا بها فالعطف في الآية يقتضي المغايرة وليس المرادفة(٦٤).

وفي هذا الكلام مخالفة صريحة لمذهب أهل السنة والجماعة بعدم تكفير أحد من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله كما هو معلوم.

قال الإمام النووي -رحمه الله -:(واعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، ولا يكفر أهل الأهواء والبدع، وأن من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم بردته وكفره إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه ممن يخفى عليه فيعرف ذلك...)(٦٥)

ويقول القاسم بن سلام:(... ثم قد وجدنا الله تبارك وتعالى يكذب مقالتهم، وذلك أنه حكم في السارق بقطع اليد، والزاني والقاذف بالجلد، ولو كان الذنب يكفر صاحبه ما كان الحكم على هؤلاء إلا بالقتل لأن النبيﷺ قال من بدل دينه فاقتلوه.) (٦٦)

ولسنا هنا في مقام الرد المفصل على ما ذكر ويكفي في بيان بطلانها وعدم صحتها مخالفتها لأبسط القواعد والأحكام وما ورد من معاني ومفاهيم عند السلف والخلف.

والحاصل: أن هذا المنهج قائم على الاعتماد في فهم النصوص بشكل عام دون النظر إلى أشياء أخرى من فقه للنص، أو اعتبار لمدلولات الألفاظ، أو قواعد الاستدلال، أو الجمع بين الأدلة، أو اعتبار الضوابط الشرعية وغيرها، ولا شك أنه منهج منحرف وبعيد عن منهج أئمة الإسلام قديماً وحديثاً.

وهكذا نرى بأن سوء الفهم لهذه النصوص الشرعية وعدم الالتزام بما ذكر سابقاً في مقدمة البحث من قواعد وأحكام في ضرورة فهم هذه النصوص أدي إلى الانحراف الفكري، ووقوع التكفير وعمليات التفجير في الأمة، واستباحة المحرمات، وانتشار التطرف والإرهاب.

مع أن هناك العديد من الأدلة التي تدل على وجوب صيانة أعراض المسلمين والترهيب من تكفيرهم يقول العلامة الشوكاني:(والأدلة الدالة على وجوب صيانة عرض المسلم واحترامه يدل بفحوى الخطاب على تجنب القدح في دينه بأي قادح فكيف إخراجه عن الملة الإسلامية إلى الملة الكفرية فإن هذه جناية لا تعدلها جناية وجرأة لا تماثلها جرأة، وأين هذا المجترىء على تكفير أخيه من قول رسول

(٦٤) – محمد بن سرور زين العابدين[بدون تاريخ] جماعة المسلمين، الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو فيه: ص:٢١٢، دار الجابية، لندن، ط: الرابعة.

(٦٥) – أبو زكريا النووي[١٣٩٢] صحيح مسلم بشرح النووي:١/١٥٠.

(٦٦) – أبو عبيد القاسم بن سلام[٢٠٠٠] الإيمان ومعالمه وسننه، واستكماله، ودرجاته:ص:٧٧، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط: الأولى.

ISSN : 2410-1818

اللهﷺ:" المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه" [٦٧]...، ومن قول رسول اللهﷺ:" إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام" [٦٨]وكم يعد العاد من الأحاديث الصحيحة، والآيات القرآنية ..)[٦٩].

ولا بد من إقامة الحجة وإزالة الشبهة قبل إصدار الأحكام يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:(فليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة)[٧٠].

ثم إن أمر التكفير لا يكون إلا من كان من أهل العلم عالماً بالموانع والشروط، فهو حكم شرعي الأصل فيه الرجوع إلى الكتاب والسنة، فلا يكفر إنسان حتى يقوم الدليل من الكتاب والسنة على كفره، وليس ذلك إلا لمن كان من أهل العلم العالم بشروط وموانع التكفير.

فالواجب في مثل هذه القضايا الخطيرة التورع والتثبت، فالغلو فيها يؤدي إلى الانحراف الفكري، وإهدار الأنفس، وضياع المجتمعات.

- **ظهور فكر الخوارج:**

ومن هذه المظاهر ظهور فكر الخوارج وانتشاره ، وهي أول فرقة ظهرت في الإسلام، فقد خرجت على الإمام علي بن أبي طالب بعد معركة صفين بحجة قبول علي بن أبي طالب تحكيم الرجال في دين الله، وأن الحكم لا يكون إلا لله، وهي كلمة حق أريد بها باطل، ليعيثوا بعدها في الأرض فسادا، فسفكوا الدماء، وقطعوا السبل، واستحلوا المحارم، وقد قتلوا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ ، وبقروا بطن امرأته وهي حامل، وقد قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وناظرهم ابن عباس رضي الله عنه فرجع منهم جماعة إلى الحق، واستمر بقيتهم حتى قتل أكثرهم بالنهروان[٧١].

لكن هذا الفكر المنحرف القائم على التكفير بالذنب، ما زال يطل برأسه بين الفينة والأخرى في حياة الأمة، وكذلك آثاره السلبية التي كانت لها انعكاسات على حياة المجتمع، وعانت الأمة منه الويلات.

---

(٦٧) – رواه البخاري، محمد بن إسماعيل [١٩٨٧] صحيح البخاري:٢/ ٨٦٢، برقم: ٢٣١٠، ومسلم بن الحجاج [بدون تاريخ] صحيح مسلم:٤/ ١٩٩٦، برقم:٢٥٨٠.

(٦٨) – رواه البخاري، محمد بن إسماعيل[١٩٨٧] المصدر السابق:١/ ٣٧، برقم:٦٧، ومسلم بن الحجاج [بدون تاريخ] المصدر السابق:٣/ ١٣٠٥، برقم: ١٦٧٩.

(٦٩) – مختصر من الشوكاني[١٤٠٥] السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار:٤/٥٨٥.

(٧٠) – أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني [بدون تاريخ] كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية مجموع الفتاوى:١٢/ ٥٠١.

(٧١) – انظر في الحديث عن الخوارج: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء[بدون تاريخ] البداية والنهاية:٧/٢٧٨ وما بعدها، مكتبة المعارف، بيروت.

ISSN : 2410-1818

ومن الأمثلة على ذلك الآيات التي ساء فهمها عند الخوارج فقالوا بنفي أصل الإيمان عن الإنسان في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وهذه الآية مما يحتج بها الخوارج على تكفير ولاة الأمر الذين لا يحكمون بما أنزل الله ثم يزعمون أن اعتقادهم هو حكم الله) (٧٢).

وفي زماننا هذا ظهر هذا الفكر المنحرف لعدة أسباب، (لعل أهمها انتشار الفساد والفسق والإلحاد في المجتمعات الإسلامية، دونما محاسبة من أحد، وكذلك ضعف البصيرة بحقيقة الدين، والاتجاه الظاهري في فهم النصوص الشرعية والتعامل معها، والإسراف في التحريم، والتباس المفاهيم، واتباع المتشابهات، وترك المحكمات، وضعف المعرفة بالتاريخ، وعدم فهم الواقع وسنن الكون والحياة...)(٧٣).

وقد ظهر ما يعرف بالجماعة الإسلامية، أو جماعة الهجرة والتكفير في مصر وانتشرت في بعض البلدان، والتي نهجت نهج الخوارج في التكفير بالمعصية، وكل من ارتكب كبيرة، وأصر عليها، وتكفير الحكام بإطلاق دون تفصيل لأنهم لا يحكمون بشرع الله، وتكفر المحكومين لرضاهم بهم بدون تفصيل، وتكفر العلماء لعدم تكفيرهم أولئك الحكام، وكذلك ظهر مفهوم الهجرة، وهي اعتزال المجتمع عزلة مكانية وشعورية، واعتزال معابد الجاهلية (يقصد بها المساجد) ووجوب التوقف والتبين بالنسبة لآحاد المسلمين بالإضافة إلى إشاعة مفهوم الحد الأدنى من الإسلام(٧٤).

ولا شك بأن هذا مخالف للمنهج الصحيح، منهج أهل السنة والجماعة، وهو ناتج عن الانحراف في فهم مصادر التلقي، وفهم النصوص الشرعية المتعلقة بمسمى الإيمان، وقضايا التكفير التي تعد من أعظم ما تعرضت له الأمة من الفتن والمحن في تاريخها، وقد سبق الكلام عن ذلك عند الحديث عن ظاهرة التكفير.

- **الوقوع في الفتن:**

ومن المآلات والمظاهر الناتجة عن سوء الفهم لمصادر التلقي الوقوع في براثين الفتن، التي تصيب القلوب فينتكس صاحبها بعيداً عن هدي خير العباد، وهي تعود على صاحبها بالخسران في الدنيا والآخرة وهي نتيجة حتمية لمخالفة هدي الكتاب العزيز والسنة النبوية، والأمثلة على ذلك كثيرة منها أحداث

(٧٢) – أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس[١٤٠٦] منهاج السنة النبوية:١٣١/٥، مؤسسة قرطبة، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ، ت: د. محمد رشاد سالم.

(٧٣) – بتصرف من مانع بن حماد الجهني[٢٠٠٣]الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة:٣٣٧/١، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط: الخامسة، إشراف ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني.

(٧٤) – انظر في الحديث عن الجماعة الإسلامية: مانع بن حماد الجهني[٢٠٠٣]الموسوعة الميسرة:٣٣٢/١.

ISSN : 2410-1818

مهمة في تاريخ الأمة، لعل القارئ يقف على كثير منها، لكننا هنا نجمل الحديث عن بعضها بإشارات سريعة، وتلميحات قصيرة، تكفي في الدلالة على المراد.

منها: حادثة قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه من قبل فئة ساء فهمها لنصوص الوحي المتعلقة بمسألة لزوم جماعة المسلمين، ومسألة الإمامة والأحكام المتعلقة بها، والطاعة لولاة الأمر من المسلمين، والوفاء بالبيعة لهم.

فكانت نتائجها على الأمة كارثية لعل من أعظمها قتل ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، وأدت إلى تفرق الأمة وتمزقها، وحصول الاقتتال فيما بينها.

ومنها: فتنة خلق القرآن:

وكذلك من الأحداث المهمة فتنة القول بخلق القرآن، والتي حصلت في زمن الخليفة العباسي المأمون بسبب انتشار حركة الترجمة، التي أدت إلى ظهور أفكار وتيارات خالفت الفهم الصحيح لنصوص الوحي والمتعلقة بأسماء الله وصفاته.

فكانت نتيجة ذلك أن امتحن المسلمون وفتنوا بالقول بخلق القرآن، وتعرض أهل العلم كالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله للتعذيب، ومنهم من قتل بسبب هذه الفتنة كالإمام أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي [٧٥].

بل حكي في التاريخ أن الأسرى الذين كانوا عند الكفار امتحنوا بالقول بخلق القرآن، فمن قال منهم بأن القرآن الكريم مخلوق، عملت الدولة على إطلاق سراحه، ومن رفض بقي أسيراً عند الكفار [٧٦].

وكل هذا ناتج عن الانحراف والمخالفة للمنهج الصحيح، والفهم السليم لمصادر التلقي والنصوص الشرعية المتعلقة بأسماء الله وصفاته.

ومنها: الوقوع في الكفر والخروج من دائرة الإسلام:

فمن المآلات الخطيرة التي تنتج عن سوء الفهم لمصادر التلقي الوقوع في الكفر والردة، والخروج من دائرة الإسلام، وهي من أخطر النتائج وأعظمها، لأنها تعني فقدان الإيمان بالكلية، وضياع صاحبه وخسرانه في الدنيا والآخرة.

من ذلك قوله تعالى:﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾الأعراف:١٧٥].

(٧٥) – إسماعيل بن عمر بن كثير [بدون تاريخ]البداية والنهاية:١٠/٣٠٣.

(٧٦) – انظر في ذلك: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي[١٩٨٧] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام:١٧/٦، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ط:الأولى،ت: د. عمر عبد السلام تدمرى، وعبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج[١٣٥٨] المنتظم في تاريخ الملوك والأمم:١١/١٦٤، دار صادر، بيروت، ط: الأولى.

ISSN : 2410-1818

وقد اختلف أهل التفسير فيه، لكن المعني المقصود (هو بيان أن من أوتي الهدى فانسلخ منه إلى الضلال والهوى والعمى ومال إلى الدنيا حتى تلاعب به الشيطان كان منتهاه إلى البوار والردى وخاب في الآخرة والأولى فذكر الله قصته ليحذر الناس عن مثل حالته وقوله) [٧٧].

ولخطورة الأمر فقد حرص النبي على اتبع كل الأساليب الممكنة من الترغيب والترهيب، وفي تصحيح أفكار الناس وسلوكهم، حتى تستقيم الأنفس على نصوص الكتاب والسنة، وترتقي إلى المستوى أراده الله ورسوله، ومن هذه الأساليب بيان عاقبة الانحراف الفكري وما يؤول إليه، لعل هذا يكون سبباً في العودة والرجوع إلى النهج القويم والصراط السوي: ومن ذلك التحذير من الردة والوقوع في الكفر، ولا شك أن الردة لا تقع إلا عن انحراف فكري فيخسر الإنسان دينه ودنياه [٧٨].

- **ظهور (القرآنيون) والطعن في المصدر الثاني للتلقي (السنة النبوية):**

ومن هذه الظواهر الناتجة عن سوء الفهم لمصادر التلقي أو في التعامل معها ظهور منكري السنة النبوية قديماً وحديثاً أو ما بات يعرف اليوم بالقرآنيين؛ حيث يقوم هذا المذهب على عدم اعتبار السنة النبوية مصدر من مصادر التلقي، والتشريع للأمة، فالسنة التي صدرت عن رسول الله ﷺسواءً كانت سنة قولية أو فعلية أو تقريرية ليست حجة وعملوا على رد كثير من الأحاديث والآثار النبوية الواردة في ذلك، وعمدوا إلى الطعن في السنة النبوية وما يتعلق بها من علوم الرواية والدراية التي نقلت إلينا سنة النبي ﷺ.

ومن المعلوم خطر هذا المذهب وهذه الدعوة على فهم القرآن الكريم الفهم الصحيح، ومعرفة أحكام الإسلام وشرائعه.

فأصحاب هذا المذهب وهذه الدعوى وقعوا في الانحراف الفكري، وفهموا القرآن الكريم على غير ما أنزل الله يقول الإمام الشاطبي:(أن الاقتصار على الكتاب رأى قوم لا خلاق لهم خارجين عن السنة إذ عولوا على ما بنيت عليه من أن الكتاب فيه بيان كل شيء فاطرحوا أحكام السنة فأداهم ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله) [٧٩].

ولا شك ببطلان مذهبهم وانحراف طريقهم التي سلكوها، ومخالفتهم للقرآن الكريم الذين ادعوا تمسكهم به، ومخالفتهم لإجماع الأمة المحمدية باعتبار أن السنة النبوية هي مصدر التشريع الثاني في الإسلام، والشارحة والمبينة للقرآن الكريم، وأهميتها في فهم كتاب الله سبحانه وتعالى كما تحدثنا عن ذلك في مبحث السنة ومكانتها.

---

(٧٧) – فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي[٢٠٠٠]التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب:٤٦/١٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:الأولى.

(٧٨) – بتصرف من عبد الرحمن صالح الذيب[٢٠١٦] الهدي النبوي في معالجة الانحراف الفكري: ص ١٨، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية، جامعة المجمعة، السعودية، العدد: ١٠ ع، ديسمبر/ ربيع أول.

٧٩ – إبراهيم بن موسى الشاطبي[بدون تاريخ] الموافقات:١٧/٤.

ISSN : 2410-1818

وقد عمل المستشرقون على هدم الإسلام ونقض أسسه، من خلال إحياء هذا المذهب ونشره بين المسلمين وإقامة الحواجز بين أمة الإسلام، وبين السنة النبوية، وإيجاد فجوه بين الشباب المسلم وسنة النبيﷺ، فعملوا على إثارة العديد من الشبهات والأفكار المنحرفة عن السنة النبوية في أوساط المجتمعات الإسلامية من خلال كتبهم ومؤلفاتهم، أو محاضراتهم في الجامعات الغربية التي تم ابتعاث العديد من أبناء المسلمين إليها.

ومن العجب في هذه الدعوى أن أصحابها يدعون أنهم يؤمنون بالقرآن الكريم، وبرسالة النبيﷺ، ثم ينكرون سنته، ولا يأخذون عنه، ويرفضون طاعته أو الاحتكام إلى هديه ومنهجه، أو التسليم له فيما قال أو فعل.

بل بعضهم يستخدم من الألفاظ الجريئة وما فيه غلظه وسوء أدب عند الكلام على أحاديث النبيﷺ وما نقل من سننه وهديه مما ينافي الإيمان به وتوقيره واحترام كلامه ﷺ.

ويعتبرون السنة روايات تاريخية فيها الكثير من التناقض يقول الرفاعي:(ولكن روايات التاريخ التي يسمونها بالسنة هي روايات جمعت من أفواه الرجال بعد موت النبيﷺ بقرون كما سنرى لاحقاً، ولا يمكن الجزم بأنها عين السنة، فالسنة لا تناقض القرآن الكريم.) [٨٠]

ويذهبون إلى عدم صلاحية السنة النبوية لهذا الزمان حتى ولو كانت صحيحة ومحفوظة من التحريف والتزوير يقول نيازي عز الدين: (وحتى ولو كان حديث الرسولﷺ مدوناً على أفضل المسجلات الصوتية بالصوت والصورة من أيام الرسولﷺ ولم تسرب إليه أي تحريف أو تزوير، حتى لو تم هذا فلا قيمة شرعية أو قضائية له لأن ما ينطبق ويحكم به على الناس في القرن السابع الميلادي لا يمكن أن يصلح عقلاً للحكم به في القرن العشرين، لذلك فقيمته تبقى قيمة تاريخية وتراثية فقط، للاطلاع والاعتبار.) [٨١].

ويسعى دعاة هذا المذهب دائماً إلى الفصل بين أهم مصادر التلقي عند المسلمين أي بين القرآن الكريم والسنة النبوية، من خلال النقد المستمر للسنة النبوية، وتصويرها للقارئ بأنها تناقض القرآن الكريم وتختلف معه من وجوه عدة، وعمدوا إلى إنكار أن تكون السنة النبوية جزء من الوحي، يقول مصطفى المهدوي وهو -أحد دعاة هذا المذهب -: (ومن أراد اللّٰه فعليه أن يختار الهدى، ومن أراد الهدى فعليه أن يختار الوحي، ومن أراد الوحي فلن يجد من بين يديه ولا من خلفه إلا القرآن) [٨٢].

---

٨٠ – المهندس: عدنان الرفاعي[بدون تاريخ]محطات في سبيل الحكمة الفارق بين السنة الشريفة وروايات الأحاديث:ص:٨٣، مركز الذكر للدراسات الإسلامية.

٨١ – نيازي عز الدين[١٩٩٦] إنذار من السماء (الكتاب الأول: النظرية):ص:١٥٦، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط: الأولى.

٨٢ – بواسطة جمال محمد أحمد هاجر[٢٠١٥]القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير دراسة نقدية:ص:٣٣٠، دار التفسير، جدة، السعودية، ط:الأولى.

ISSN : 2410-1818

وقال الرفاعي:(والقول بأن الله أوحى إلى نبيهﷺ وحيين اثنين، هما القرآن والسنة الشريفة، هو قول ينقضه القرآن الكريم جملة وتفصيلاً) (٨٣)

ويقول في موطن آخر: (كيف يفترى على الله تعالى وكتابه الكريم وسنته الشريفة بأن السنة وحي مستقل آتى تحريم ما لم يحرمه كتاب الله تعالى.) (٨٤).

ويقول نيازي عز الدين:(من ذلك كله يظهر لنا أن الدعوى القديمة، والتي يدعمها بعض رجال الدين حتى اليوم، من وجود وحيين وكتابين هي دعوى باطلة لا أساس لها في القرآن الكريم، ...وليس هناك أي وحي آخر سوى القرآن الكريم أرسل للرسول، ومن يزعم بوجود حديث خاص أو سنة خاصة أو كلام خاص للرسول ﷺ في الإسلام والقرآن فهو واهم، ووهمه يؤدي إلى ضلال وإضلال ، وقد ظهر لنا أن كل آيات الله في القرآن شاهدة على عدم وجود ما توهمه الأقدمون والمحدثون من تصور لوجود حديث خاص للرسول وأنه واجب الوجود لفهم القرآن لفهم القرآن، افتراء لا يدعمه شيء على الإطلاق) (٨٥).

وكذلك ذهب دعاة هذا المذهب إلى عدم اعتبار السنة النبوية مصدر للتشريع:

قال سامر إسلامبولي:(وقد احتوى الكتاب الشرع كله ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ الأنعام :٣٨]. مما يؤكد انتفاء صفة المصدرية الشرعية النظرية عن غير الكتاب. فالمصدر النظري الشرعي الإلهي للحرام والحلال والواجب يجب حصره في الكتاب فقط، وذلك من حيث إنه وحي من الله ورسالته إلى الناس جميعاً، فتكون مادة الحديث ليست مصدراً شرعياً للحلال والحرام والواجب، وإنما هي تفاعل النبي مع الشرع الإلهي بأحكامه) (٨٦).

ويقول الرفاعي: (وكل زعم بأن السنة تضيف أحكام إلى كتاب الله تعالى هو زعم باطل وخروج على حقيقة منهج الله تعالى) (٨٧).

وقال نيازي عز الدين: (وكذلك كل أوامر الرسول وتعليماته وأحكامه الشرعية، كان لها صفة المحدودية الزمانية والمكانية على الدوام ومن هنا يعلم سبب نهيه عن كتابة أقواله وأفعاله خشية أن يصبح لهذه الأقوال والأفعال التي ليس لها صفة الثبات والديمومة لأنها جاءت في زمان ومكان محددين صفة الثبات والاستمرار والتعميم، فتطبق في زمان أو ظرف أو مكان لا تصلح له.) (٨٨)

---

٨٣ – المهندس: عدنان الرفاعي[بدون تاريخ]محطات في سبيل الحكمة:ص:٣٧.

٨٤ – المهندس: عدنان الرفاعي[بدون تاريخ]المصدر السابق:ص:٤١.

٨٥ – نيازي عز الدين[١٩٩٦] إنذار من السماء:ص:١٠٧.

٨٦ – بواسطة: جمال محمد أحمد هاجر[٢٠١٥]القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير:ص:٣٤٠.

٨٧ – المهندس: عدنان الرفاعي[بدون تاريخ]محطات في سبيل الحكمة: ص:١١١.

٨٨ – نيازي عز الدين[١٩٩٦] إنذار من السماء:ص:١١٠.

ISSN : 2410-1818

ومن الملاحظ في كتاب ومؤلفات دعاة منكري السنة النبوية الطعن في كتب الحديث التي احتوت على السنة النبوية والأحاديث النبوية وإثارة العديد من الشبهات والافتراءات عليها، والتقليل من أهميتها، والتشكيك في مصداقيتها:

والطعن في العلوم المتعلقة بها سنداً ومتناً، من خلال ادعاء بأن ما جاء فيها مخالف للعقل (فقد تناول القرآنيون – منكرو السنة -كثيراً من أحاديث صحيح البخاري ومسلم في بعض مؤلفاتهم وردوا الكثير منها بحجة مخالفتها لعقولهم، من ذلك على سبيل المثال كتاب: الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها، تحرير العقل من النقل، وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم، وتجريد البخاري من الأحاديث التي لا تلزم) [٨٩]، وغيرها.

ففي هذه الكتب المذكورة وغيرها تجد الطعن في كتب الصحاح، والسنن، والمسانيد، والمعاجم وغيرها وإثارة العديد من الشبهات والتشكيك في كثير من الروايات التي نقلت إلينا من ذلك على سبيل المثال قول الرفاعي:(إن القول بأن كل ما في الصحيحين صحيح، لا يختلف كثيراً عن القول بأن كل ما في الصحيحين ليس صحيحاً ، فكلا المقولتين عصبية ناتجة عن جهل بمنهج الله تعالى من أساسه ، ومن لا يدرك أن إدخال الأكاذيب الملفقة إلى الرسول ﷺ إلى ساحة المقدس هو معاول في هدم السنة الحق، من لا يدرك ذلك فهو جاحد بكتاب الله تعالى، وغارق في مستنقعات التيه...) [٩٠].

بل قد قال قائلهم: (والذي يبحث بدقة في أحاديث البخاري وصحيحه من جديد حسب معطيات العصر وعلومه يستطيع أن يتخلص من (٩٩٪) منها أيضاً بكل سهولة) [٩١].

وكذلك الطعن في علوم الحديث وما يتعلق بعلم الرواية والأسانيد باعتبار هذه العلوم مختصة بالسنة النبوية وما يتعلق بحفظها ونقلها: يقول الرفاعي: (كل هذه المصطلحات والمعايير والقواعد والشروط والتأويلات التي وضعت في علوم الحديث لا يمكن أن تتصف بصفة العلم الذي يعني الوقوف على حقيقة الأمور والأشياء...لأن احتمال الخطأ والسهو والكذب والتلبيس وراد...كل ذلك يؤكد أن الحديث وعلومه أقرب إلى التاريخ منهما إلى المنهج) (٩٢).

وهكذا عند النظر في كتبهم ومؤلفاتهم نجد المحاولات العديدة لدعاة هذا المذهب التقليل من أهمية السنة ومكانتها، واعتبارها أقوال وأفعال خاصة بالنبي ﷺ ، حكم بها الزمن الذي كان يعشيه، وقد نهى عن كتابة حديثة لهذا السبب، وحتى لا يذهب الناس بعيداً عن مصدر التلقي الوحيد لديهم وهو القرآن الكريم فقط، والاعتماد عليه دون الحاجة لوسيط أو شارح أو مبين، وعليه سيفهم كل فرد من هذه الأمة القرآن على ما يريد، ويفسره بحسب هواه ومبتغاه، ويأتي فيه بالعجائب كما هو

٨٩ – مختصر من جمال محمد أحمد هاجر[٢٠١٥]المصدر السابق:ص:٤١٩.

٩٠ – المهندس: عدنان الرفاعي[بدون تاريخ]محطات في سبيل الحكمة: ص:٤٠٨.

٩١ – نيازي عز الدين[١٩٩٦] إنذار من السماء: ص:٢٤٩.

٩٢ – المهندس: عدنان الرفاعي[بدون تاريخ]المصدر السابق: ص:٢٩٦.

ISSN : 2410-1818

حصل عند دعاة هذا المذهب، ولسنا هنا بصدد الرد التفصيلي على كل ما قاله دعاة هذا المذهب، لأن الغرض هو ذكر نماذج وأمثاله على الانحراف الفكري الناتج عن سوء الفهم لمصادر التلقي أو التعامل معها، وما ذكرنها من أمثلة فيه الكفاية لبيان ذلك، وهناك من العلماء من قام بالرد الكافي والشافي ينظر في مظانه[٩٣].

ويمكن إجمال الرد عليهم بما يلي:

خطأ المنهج الذي قامت عليه هذا المذهب وذلك من خلال:

- عدم الالتزام بما ذكر سابقاً في مقدمة البحث من الأمور التي ينبغي مراعاتها عند التعامل مع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وهو ما سبب هذا الانحراف الفكري.
- تعاملهم مع نصوص السنة النبوية وأحاديث النبيﷺ بأنها نصوص زمانية محدودة بحدود الزمن الذي قيلت فيه لا تصح تطبيقها حسب زعمهم على أزمنه أخرى لاختلاف المعطيات الزمانية في كل عصر عن الآخر.
- حصر مصدر التلقي عند الأمة بمصدر واحد فقط وهو القرآن الكريم، وهو الأساس الذي يقوم عليه هذا المذهب.
- اعتماد دعاة هذا المذهب في تفسير القرآن الكريم على اعتقاد ثابت لديهم بأن القرآن قد حوى كل شيء فلا حاجة معه للسنة النبوية أو غيرها.
- تأثير دعاة الاستشراق والتغريب على دعاة هذا المذهب فلا ينفك منكري السنة النبوية عن ترديد ما يقوله المستشرقون عن السنة النبوية والطعن فيها بصورة أو بأخرى.

والمتأمل فيما يقوله ويكتبه دعاة منكري السنة(القرآنيون) يجد أن السبب الرئيس وراء انحرافهم الفكري، وسعيهم الدؤوب للطعن في السنة النبوية هو سوء الفهم للنصوص الشرعية والتعامل معها، حالهم حال من سبقهم من أهل البدع والمذاهب المنحرفة التي ظهرت في تاريخ الأمة الإسلامية الطويل، فأكثر الانحرافات الفكرية والبدع كان من أهم أسبابها هو سوء الفهم لنصوص الشرع، وعدم التعامل معها بالشكل الصحيح.

يقول شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله -:(وكانت البدع الأولى مثل بدعة الخوارج إنما هي من سوء فهمهم للقرآن لم يقصدوا معارضته لكن فهموا منه ما لم يدل عليه فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب إذ كان المؤمن هو البر التقى قالوا فمن لم يكن برا تقياً فهو كافر وهو مخلد في النار) (٩٤).

---

٩٣ – انظر على سبيل المثال: د. عبد الرحمن محمد يوسف[بدون تاريخ]القرآنيون في مصر وموقف الإسلام منهم، دار البيان للنشر والترجمة، القاهرة، مصر، ط: الأولى، وجمال محمد هاجر[٢٠١٥] القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير دراسة نقدية، وأ.د. محمود محمد مزروعة [بدون تاريخ]شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٩٤ – أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني[بدون تاريخ] كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية مجموع الفتاوى:١٣/٣٠.

ISSN : 2410-1818

وقد سبق الحديث عن السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامية وأهميتها، ومن المعلوم ضرورتها لفهم كتاب الله سبحانه وتعالى الفهم الصحيح، ودورها في معرفة مراد الله سبحانه تعالى، باعتبار أن النبيﷺ هو المبلغ عن ربه والمبين لكتابه، وهذا العمل كما هو معلوم من الوظائف الرئيسية للأنبياء عليهم السلام جميعاً أي البيان والتبليغ عن رب العباد.

ومن خلال كل ما سبق ذكره نستطيع القول بأن ما تتعرض له النصوص الشرعية، ومصادر التلقي عند المسلمين وخاصة نصوص الوحيين من هجمة شرسة ومنظمة من قبل الكثير من دعاة هذه المذاهب والفرق المنحرفة فكرياً سواء كانت المدرسة العقلية ودعاتها، أو القرآنيون، أو جماعة الهجرة والتكفير وغيرهم هي نتيجة من نتائج سوء الفهم لهذه المصادر، والتعامل معها، فسوء الفهم آفة من الآفات التي تتعرض لها مصادر التلقي، وخطر من الأخطار المحدقة بها تحتاج إلى وقفه جادة في مواجهتها والرد عليها، وبيان خطرها وكشف أباطيلها.

والملاحظ أن الجامع المشترك بين هذه المذاهب التي اخترنا الحديث عنها كنماذج للانحراف الفكري الناتج عن سوء الفهم لمصادر التلقي أو التعامل معها هو مخالفتهم لما ذكر من قواعد وضوابط ينبغي مراعاتها عند التعامل مع الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة.

مع أنهم يقومون بوضع قواعد أو مفاهيم من تلقاء أنفسهم ويدعون ادعاءات كثيرة يزعمون اكتشافها أو معرفتها من ذلك على سبيل المثال: استنباطهم لبعض المفاهيم من خلال معادلات رياضية، أو النظرية العددية، أو أن القرآن قد حوى كل شيء من أمور الدين والدنيا، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وبيّنها، ومع هذا يقومون بإلزام الناس بها باعتبارها حجج دامغة وحقائق غير قابلة للنقاش تم التوصل إليها من قبل هؤلاء الدعاة.

الخاتمة

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده حمداً كثيرا طيباً مباركاً، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمدﷺ، ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

هذه الدارسة بعنوان: مصادر التلقي سلامة فهمها وأثره في الوقاية من الانحراف الفكري وقفنا فيها على أهمية مصادر التلقي وسلامة فهمها والتعامل معها، وأثر ذلك في الوقاية من الانحراف الفكري، والوقوف على بعض مظاهر سوء الفهم لها ، مما يؤكد على أهميتها، والحاجة الى فهمها الفهم الصحيح لتجنب مثل هذا الانحراف.

وبعد هذه الدراسة، والوقوف على ما فيها يمكن أن نجمل أهم النتائج بما يلي:

- أن مصدر التلقي الأول عند المسلمين هو القرآن الكريم، فهو مصدر التشريع.
- مصدر التشريع الثاني عند المسلمين هي السنة النبوية، ولها أهميتها ومكانتها في الإسلام، فهي الشارحة والمبينة للمصدر الأول، وهي وحي من الله سبحانه وتعالى لنبيهﷺ.

ISSN : 2410-1818

- أهمية وضرورة استيعاب الأمور التي ينبغي مراعاتها في فهم مصادر التلقي والتعامل معها التعامل الصحيح، لتجنب سوء الفهم، والذهاب في فهمها بعيداً عن مراد قائلها.
- أهمية سلامة فهم النص الشرعي (مصادر التلقي) من الوقاية في الانحراف الفكري.
- أن ظاهرة التكفير في المجتمعات من أهم مظاهر الانحراف الفكري الناتج عن سوء الفهم للعديد من النصوص الشرعية التي وردت في حوادث معينة، وحملها على غير مرادها.
- خطورة الانحراف الفكري الناتج عن سوء الفهم لمصادر التلقي، وما تسبب به من كوارث على أمة الإسلام، كالوقوع في الفتن، وظهور فكر الخوارج، وما نتج عنه من استباحة الدماء المعصومة وغيرها.
- أن من مظاهر الانحراف الفكري والناتجة عن سوء الفهم لمصادر التلقي أو في التعامل معها عدم اعتبار السنة النبوية مصدر من مصادر التلقي، والتشريع للأمة، وظهور منكري السنة النبوية "القرآنيون".
- من أخطاء هذه المنهج القائم على عدم اعتبار السنة النبوية مصدر تشريع للأمة تعاملهم مع نصوصها بأنها نصوص زمانية محدودة بحدود الزمن الذي قيلت فيه لا تصح تطبيقها حسب زعمهم على أزمنه أخرى لاختلاف المعطيات الزمانية في كل عصر عن الآخر.
- تأثير دعاة الاستشراق والتغريب على دعاة هذا المذهب فلا ينفكوا عن ترديد ما يقوله المستشرقون عن السنة النبوية والطعن فيها بصورة أو بأخرى.
- وفي ختام هذا العمل نوصي بضرورة بذل مزيد من الاهتمام والعناية بمصادر التلقي، والحرص عليها، والذود عنها، والتأكيد على أهمية التأصيل بضبط مصادر التلقي والمعرفة لدى الإنسان فهي أساس الأمن الفكري وسلامته من الانحراف فالاعتقاد وما يتبعه من عمل منوط بسلامة المصدر المأخوذ منه، وكذلك ينطبق الأمر على سلامة الفهم فهو أساس سلامة المعتقد وسلامة العمل وموافقة الصواب.
- كما نوصي ونؤكد على ضرورة الوقوف أمام تلك الدعوات المشبوهة التي تظهر بين الحين والآخر للطعن في مصادر التلقي والتقليل من شأنها.
- وفي مسك ختام هذه الدارسة وهذا الجهد أسال الله عز وجل أن يتقبل منا صالح الأعمال، ونسأله والتوفيق والسداد، فما أصبت من عمل في هذه الدارسة فمن الله عز وجل المتفضل علي بكثير من النعم، وما كان فيها من خطأ فمن نفسي والشيطان، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

ISSN : 2410-1818

فهرست المصادر والمراجع

١. الأحاديث المختارة، محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط: الأولى، ١٤١٠هـ، ت: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش
٢. أحكام القرآن للجصاص، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ت: محمد الصادق قمحاوي.
٣. إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ط:١، ١٩٩٢م، ت: محمد سعيد البدري أبو مصعب
٤. الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
٥. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط:٢، ت: محمد حامد الفقي،١٣٩٦ه.
٦. الأمن الفكري: مفهومه، أهميته، ومتطلبات تحقيقه، عبد الحفيظ بن عبد الله المالكي، مجلة البحوث الأمنية السعودية، العدد: مج ١٨/ع٤٣، أغسطس٢٠٠٩م.
٧. الانحراف الفكري وأثره في الأمن في ضوء القرآن الكريم، عبد الحميد عبد الرحمن السحيباني، العدل السعودية، العدد: مج١١/ع٢٠٠٨، ٤١م.
٨. إنذار من السماء (الكتاب الأول: النظرية)، نيازي عز الدين، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط: الأولى،١٩٩٦م.
٩. أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي، دار الوفاء، جدة ، ط:١ ، ١٤٠٦هـ، ت: د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي
١٠. الآيات البينات، أحمد بن قاسم العبادي الشافعي، دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤١٧هـ.
١١. الإيمان ومعالمه وسننه، واستكماله، ودرجاته، أبو عبيد القاسم بن سلام، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط: الأولى،٢٠٠٠م.
١٢. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف، بيروت.
١٣. البرهان في علوم القرآن، محمد الزركشي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.
١٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، دار الهداية، ت: مجموعة من المحققين.
١٥. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ط: الأولى، ١٩٨٧م، ت: د. عمر عبد السلام تدمرى.
١٦. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ٢٠٠٠م.

ISSN : 2410-1818

١٧. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:١ ، ١٤٠٥هـ، ت: إبراهيم الأبياري.
١٨. التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠٠م.
١٩. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧ه، ت: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري.
٢٠. توجيه النظر إلى أصول الأثر، طاهر الجزائري الدمشقي، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط:١، ١٩٩٥م، ت: عبد الفتاح أبو غدة.
٢١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م، ت: ابن عثيمين.
٢٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٢٣. الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
٢٤. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة.
٢٥. جماعة المسلمين، الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو فيه، محمد بن سرور، دار الجابية، لندن، ط: الرابعة.
٢٦. رسائل ابن حزم الأندلسي، بن حزم الظاهري، علي بن أحمد بن سعيد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٩٨١م.
٢٧. السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.
٢٨. السلسلة الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.
٢٩. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، دار الفكر، بيروت، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.
٣٠. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، دار الفكر، ت: محمد محي الدين عبد الحميد.
٣١. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٠٥هـ، ت: محمود إبراهيم زايد.
٣٢. شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، أ.د. محمود محمد مزروعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

ISSN : 2410-1818

٣٣. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الرابعة.
٣٤. شرح المعالم في أصول الفقه، عبد الله بن محمد التلمساني، دار علم الكتب، ط: الأولى، ت: عادل أحمد، وعلى معوض، ١٤١٩هـ.
٣٥. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثانية، ١٩٩٣م، ت: شعيب الأرناؤوط.
٣٦. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط: الثالثة، ت: د. مصطفى ديب البغا، ١٩٨٧م.
٣٧. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط: الخامسة.
٣٨. صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢ه، ط:٢.
٣٩. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري، بيروت، دار إحياء التراث، ت: محمد عبد الباقي.
٤٠. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، دار العاصمة، الرياض، ط: الثالثة، ١٩٨٨م، ت: د. علي بن محمد الدخيل الله.
٤١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت.
٤٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية، مصر، ط: الأولى، ١٣٥٦هـ.
٤٣. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، دار إحياء التراث العربي، ط:٢، ١٤٢١هـ.
٤٤. القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير دراسة نقدية، جمال محمد أحمد هاجر، دار التفسير، جدة، السعودية، ط: الأولى، ٢٠١٥م.
٤٥. القرآنيون في مصر وموقف الإسلام منهم، د. عبد الرحمن محمد يوسف، دار البيان للنشر والترجمة، القاهرة، مصر، ط: الأولى.
٤٦. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، مكتبة الرشد ، الرياض، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ، ت: كمال يوسف الحوت.
٤٧. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مكتبة ابن تيمية، ط: الثانية، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.
٤٨. لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
٤٩. محطات في سبيل الحكمة الفارق بين السنة الشريفة وروايات الأحاديث، المهندس: عدنان

ISSN : 2410-1818

الرفاعي، مركز الذكر للدراسات الإسلامية.

٥٠. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م، ت: جمال عيتاني.

٥١. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر.

٥٢. مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٥م، ط: الثالثة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

٥٣. معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار المعرفة، بيروت، ت: خالد عبد الرحمن العك.

٥٤. المفردات في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد دار المعرفة، لبنان، ت: محمد سيد كيلاني.

٥٥. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، دار صادر، بيروت، ط: الأولى، ١٣٥٨هـ.

٥٦. منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مؤسسة قرطبة، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ، ت: د. محمد رشاد سالم.

٥٧. الموافقات في أصول الفقه، إبراهيم بن موسى الغرناطي المالكي، دار المعرفة، بيروت، ت: عبد الله دراز.

٥٨. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط: الخامسة، ٢٠٠٣م، إشراف ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني.

٥٩. نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني دار إحياء التراث العرب، بيروت، ت: ضمن كتاب سبل السلام.

٦٠. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م، ت: طاهر أحمد الزاوى/ محمود الطناحي

٦١. الهدي النبوي في معالجة الانحراف الفكري، عبد الرحمن صالح الذيب، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية، جامعة المجمعة، السعودية، العدد:١٠ع، ديسمبر/ ربيع أول،٢٠١٦م.